أضواء

حول الأحداث والتطورات في الوطن العربي



الشيخ
حبيب الخباز

أضواء

حول الأحداث والتطورات في الوطن العربي

الشيخ حبيب الخباز

أضواء

حول الأحداث والتطورات في الوطن العربي

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

جسر العبور:

لقد أثبتت الأمة (العربية والإسلامية) أنها لا تختلف عن غيرها من الشعوب التي تنشد التقدم والتطور، فالثورات والانتفاضات هي التعبير عن رفضها لأنظمة الاستبداد والدكتارتورية والتخلف والتي تعيق حركة الشعوب وتحقيق أهدافها وتطلعاتها.

فهذه الثورات هي جسر العبور إلى مرحلة جديدة وطوي صفحة الماضي، لكن السؤال المهم هو هل تكتفي هذه الثورات بهذا العبور وهدم النظام الفاسد وتنتهي مسؤوليتها، أم أن هذا هو بداية التغيير نحو البناء والتكامل؟ والجواب يكمن في تلك الأهداف والدوافع التي انطلقت منها هذه الثورات، فهي لم تنطلق إلا من رحم المعاناة والظروف التي

تكرست عبر قرون طويلة، ونتيجة لذلك عاشت الأمة على هامش التاريخ، فلم يسجل لها أي انجاز وتقدم في كل الميادين، أما اليوم فهي تكتب تاريخاً جديداً، وتحاول أن تستعيد عافيتها ودورها، ولذلك فالأمة نحو مهمة أخرى لا تقل صعوبة عن أحداث هذه الثورات، وكما قيل «**إن عملية البناء أكثر مشقة من الهدم الذي يستغرق الكثير من الوقت**»، فعملية الهدم والإطاحة بهذه الأنظمة الفاسدة لم يستغرق الوقت الكثير بالرغم من استمرارها وجثمانها على صدور الشعوب عقود طويلة، إذا لا بد أن تكون هناك خريطة جديدة تبدأ بعد الهدم وإزالة الأنقاض، ليبدأ تنفيذ المشروع الحضاري، وهذا يحتاج إلى خطوات في طريق النجاح وتحقيق البناء الكامل:

أولاً: المحافظة على الانتصار والانجاز

فهي لم تتحقق إلا من خلال التضحيات التي لا تنحصر فقط في ساعات وفترة الثورة، ويمكن القول: إن الثورة ما هي إلا نتيجة إلى العمل الدؤوب والتضحيات، فالصراع مع هذه الأنظمة لم يتوقف وإن كان محدوداً ومن خلال النخب والجماعات والأحزاب والتيارات. حيث كانت مهمة نجاحها رهين باستجابة الشعوب، ولذلك نقول: إن هذه الثورات هي استكمال لكل الجهود التي بذلك قبل ذلك.

وخلاصة القول: «**إن هذه الثورات الناجحة لم تنطلق من فراغ بل هي تسعى لتحقيق مطالب مشروعة، وهو ما يحملها مسؤولية الحفاظ على هذا الانجاز والانتصار من خلال التأكيد على البدائل والوسائل، وعدم إتاحة الفرصة لسرقة جهودها، فالثورة هي انقلاب وصياغة جديدة للحياة وليست بتغيير الصورة والشكل**». ولذلك من أهم المهام هو إزالة كل القوانين والأنظمة والمؤسسات وكذلك التخلص من الأزلام والشخصيات الفاسدة، التي تتصل بالنظام الفاسد، والضرورة الأهم هي صياغة الدستور الذي يحوي كل المبادئ والقوانين ويرسم حدود العلاقة بين الشعب ونظامه وحكومته، فالحكومات هي التي تقرر مصير الشعوب وكأنها على خريطة العالم، وإن انتخاب هذه الحكومة وفق مبادئ دستورية صحيحة وحضارية هي الخطوة واللبنة الأولى في عملية البناء. وفي الحديث «**كيفما تكونوا يولَّ عليكم**».

ثانياً: الدولة هي أساس الاستقرار والأمن

وتشييدها على قيم خلاّقة هو الذي يكفل التقدم والحقوق الكاملة، ولذلك يجب أن تتجنب الدولة كل عوامل الصراعات والخلافات والانشقاقات التي تنعكس سلباً على الحياة، ومن هذه القيم هو عنصر الكفاءة فهي تفرض نفسها وتحقق أجواء التنافس الايجابي وكذلك الشعور بالمسؤولية، وان الالتزام بهذه المبدأ هو الذي يكفل السياسات البناءة،

والوحدة الاجتماعية والوطنية المتماسكة، والقادرة على تخطي الصعوبات والتحديات وسد الثغرات، وعلى أساس ذلك يجب محاربة سياسة التمييز والطائفية والمحسوبيات وكل ما يعرقل مسيرة البناء، أو العودة إلى صور من صور الظلم والإجحاف بحق الناس. فمثلا نجد من المشاكل أمام اختيار الحكومة التي تمثل الشعب هو اعتماد سياسة المحاصصة والنسب على أساس عرقي أو طائفي أو قبلي عشائري. فهذا غير منطقي وصحيح، ومثل هذه الإجراءات هي التي تعيق حركة البناء وتحقيق التطلعات، وهي كذلك من أسباب الانتكاسات للحكومات الجديدة والمنتخبة، والفشل هو المصير لهذه التمثيلات والحكومات.

فينبغي التأكيد في هذا المجال بأن «**الثورات الناجحة ليست غنيمة لأحد أو لجهة حتى يتقاسمونها حسب الأهواء والعصبيات، بل هي في الأساس ثورة ضد الظلم والانحراف والتخلف، وكذلك إقامة العدل والمساواة ورفاهية الشعب، وسيادة القانون**».

ثالثاً: رسم الخطط الاستراتيجية السياسية والتنموية

والتي تكفل الكرامة الإنسانية والعيش الرغيد، ومن أهم هذه السياسات هي طبيعة العلاقة مع تلك الدول العظمى والاستعمارية، فهذه الدول لا يهمها إلا مصالحها وان نفوذها

في عمق أوطاننا لعقود طويلة وهيمنتها على السياسات يشكل تحديا كبيرا، فمن الصعب على هذه الدول الاستكبارية التخلي والتنازل عن مصالحها، فهي تحاول بكل الوسائل وأمام هذه الثورات والتحولات التقليل من خسائرها والحفاظ على أكبر قدر من نفوذها، وهو ما يوجب الحذر، عبر وضع خطط استرايتجية ذكية في طبيعة العلاقة معها، وعدم تأثيرها على الاستقلال ومسيرة البناء والتنمية، والمطلوب في هذا العالم هو إيجاد سياسات تحقق التوازن الذي يحفظ حق الجميع وتبادل المصالح، وعدم السماح بتجاوز الحدود والتدخل في الشؤون الدول الداخلية وهو ما يسمى في المصطلح السياسي في العصر الحديث بالأمن القومي.، فمن أكبر التحديات التي تواجه الشعوب اليوم هي تلك الديون المتراكمة بالمليارات الدولارات بسبب السياسات الخاطئة والتبعية الاقتصادية للغرب، وان معالجة مثل هذه المشاكل وتخطي هذه العقبات هو وضع الحلول الجذرية لهذه العلاقة الخاطئة، حتى لا يبقى الشعب أسيرا في تسديد فواتير هذه الديون وتؤثر على مسيرته، ولذلك نقول يجب الاهتمام بهذه الاستراتيجيات ولا نستغرق فقط بالخطط التفصيلية الداخلية.

رابعاً: المشروع الإسلامي

بنزاهته وتكامله وأهدافه هو الذي يرسم لنا الحياة ويفتح لنا آفاق المستقبل، فرسالة الإسلام هي رسالة إنسانية وعالمية وحضارية، لأنها تلبي نداء الفطرة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] وإن الاستفادة والالتزام بمبادئ وتعاليم الإسلام في كل الشؤون الحياة وبالخصوص الاستناد إليه في وضع الدساتير هو الذي يكفل بتحقيق نجاحات باهرة، ويجنب الأوطان الأزمات المختلفة، فالإسلام رسالة ومنظومة متكاملة من المفاهيم وعلى كل الصعد، حول دور الإنسان والحياة والعلاقات الإنسانية والسياسات وضمان حقوق الأقليات واحترام الأديان والهويات، ويؤكد على الحوار والتواصل والتعاون، كل ذلك يجعل من المشروع الإسلامي ضرورة حضارية.

إن التعصب ضد تطبيق مفاهيم الإسلام خصوصا في مستوى بناء الدولة واتهامه بأنه خطر يهدد الكيانات ويلغي الخصوصيات يعتبر خطاء كبيرا، واتهاما ظالما، وجهلا، وكان من الأجدر هو اختبار التجربة الإسلامية الصحيحة، أما ما قامت به الحكومات الدكتاتورية فليس له صلة بالإسلام، بل هي شوهت صورة الإسلام ولم تتح وألغت دور المسلمين والمؤمنين، وتصدت لكل محاولة في تطبيقه، ومن نتائج هذه

---

(١) الروم: ٣٠.

السياسات هي بروز التيارات الإرهابية المتشددة التي شوهت الصورة الكاملة للإسلام، حتى أصبح الإرهـاب أزمـة تهدد العالم بأسره، وكما قيل: «**الإرهاب ليس له هوية**» فهل الإسلام يدعو إلى الأرهاب ؟ أم الإسلام يدعو إلى السلام والدخول في السلام كما قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾.

إن الأمة اليوم مطالبة ومن خلال ثوراتها إلى إعادة الاعتبار إلى دينها ورسالتها الإسلامية وذلك من خلال:

١ـ التأكيد على مرجعية الإسلام ودستوره في جميع المجالات.

٢ـ الاهتمام بالتعاليم والمفاهيم الإسلامية الأصيلة، التي تواكب الحضارة والتقدم، واستخراج كنوزه المعرفية، والطريق إلى ذلك هو بذل الجهد والاجتهاد وليس الجمود والنظر إلى الوراء.

٣ـ والاهم هو التطبيق والعمل به وبشكل كامل، إما تطبيق الإسلام في جانب دون جانب آخر لا يحقق الهدف بل يقدم صورة مشوه، ولذلك المطلوب هو الاستجابة والتفاعل والفاعلية، كي نضمن نجاح التجربة ونثبت للعالم بأن الإسلام هو المشروع القادم والمؤهل لقيادة البشرية، يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]، ويقول ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]. أما النظريات والأيدلوجيات الأخرى قد أثبتت فشلها.

---

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) البقرة: ٨٥.



إرادة الشعوب أمام طغيان الحكومات

إن الحقيقة الناصعة التي تكشفت بشكل صارخ من خلال التحولات والثورات في الوطن العربي تؤكد على أن الحكومات الاستبدادية هي المشكلة والعقبة أمام تقدم الشعوب وحريتها وتحقيق كرامتها، فهذه الحكومات هي العدو الحقيقي لأنها تقوم بكل الأدوار والأساليب والوسائل والخطط التي يقوم بها الأعداء عادة، ومن جهة هي التي تسهل مهمة تلك الدول الاستعمارية، ويمكن القول أنه لولا هذه الحكومات لما استطاعت تلك الدول الكبرى أن تنهب خيرات الشعوب خصوصا بعد إنهاء الاحتلال العسكري المباشر. فهذه الحكومات تقوم بمهمة مزدوجة فهي تسعى لتكريس هيمنتها وقبضتها، وهي أيضا تقوم بتنفيذ وتأمين مصالح الدول الكبرى التي تحميها، والسؤال لماذا تقوم هذه الحكومات بهذه المهمات وتكون ضد مصالح شعوبها؟

يرجع ذلك لسبب واحد بأن هذه الحكومات غير شرعية فهي غير منتخبة، إنما جاءت أما عن طريق الانقلابات أو الاستعمار أو الانتخابات المزيفة، وعلى أساس ذلك فهي لا تعير اهتماما للشعب، وإنما هاجسها الأكبر ينصب حول تأمين مصالحها واستمرارها، فهي تبدد الثروات وتستنزف خيرات البلاد على حساب الناس والفقراء. ولذلك فهي تستخدم كل الأساليب والوسائل التي تكرس حكمها وقبضتها، مثل:

١ـ نشر الفساد والرذيلة من أجل تمييع إرادة الناس وقتل هممهم وتطلعاتهم.

٢ـ تكريس سياسات القمع والإرهاب ولي الأعناق، في مواجهة كل المحاولات التي تقف في وجهها فهي تستخدم سياسة (الترغيب والترهيب)، والخلاصة فهي التي تمسك بزمام الأمور وتسيطر على كل الأوضاع وتهيمن على كل الوسائل المعبرة عن أي حق ورأي، ونتيجة لذلك من الصعب أن تجد معارضة من الأفراد أو الجماعات أو الأحزاب في أغلب البلاد العربية، فهي قد أعدت العدة لكل من تسول له نفسه على نقد الحكومة أو التعبير عن رأيه، فضلا عن إنشاء الأحزاب والمنظمات، لأن مصير ذلك هو السجون والتعذيب والتصفية الكاملة، كما أنها تخصصت في إعداد السجون

الخاصة لسجناء الـرأي أي السياسيين، حيث يتم عزلهم وإخفاؤهم وعدم السماح بالسؤال عنهم.

٣ـ الهيمنة على مقدرات البلاد ومصادر الثروة في كل أنحاء البلاد، من اجل بناء القوة وشـراء ما يمكن شـراؤه من وسائل القمع والتهديد، دون مراعاة لحاجات البلاد وتنميتها، ولذلك نجد من الطبيعي في كل الـدول العربية تعيش الفقر والتخلف وضعف البنى التحتية، بالرغم من وجـود البترول في بعض الدول، ، بينما تحتكر الأسر الحاكمة الثروة وتبددها على رغباتها ورفاهيتها، ومن خلال ذلك فهي تستخدم المال أيضا وسيلة في تطبيق سياسة الترغيب والترهيب فهي صاحبة الحق المطلق في العطاء والمنع، فهي تعتبر المالك وما يصل إلى الشعب فهو مكرمة ومنحة، وليس لأحد الحق في المطالبة أو النقد، وفي الحقيقة أن هذه السياسة والمنطق لحكوماتنا لا تختلف عن نظرة فرعون إلى شعبه، حيث يقول: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾[1] وحينما جاء النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليحررهم من الظلم فقال ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾[2] فصار يمن على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى شعبه، وهذا ما أشار إليه النبي وقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[3] إذا فالحكومات

(١) الزخرف: ٥١.

(٢) طه: ٤٧.

(٣) الشعراء: ٢٢.

الاستبدادية ترى شعوبها عبيدا وقطعان تتحكم في مصيرهم، وليس للشعب سوى الطاعة والصمت ويكونوا حسن السيرة. وإلَّا نزلت عليهم اللعنات والويلات.

٤ـ سرقة الأموال الطائلة للشعب وودعها في البنوك العالمية، كحساب خاص للحكام وعوائلهم فتستغل وتستثمر من قبل تلك البنوك والدول، بينما الشعوب العربية والإسلامية تعيش على فتات الخبز، والفقر والحرمان وهي صاحبة الحق.

٥ـ استغلال الإسلام استغلالا سيئا:

فلأن شعوب العربية تدين بالإسلام، فالحكومات ترفع شعار الإسلام في كل أدبياتها وشعاراتها وفي مناهجها، لكنها في الحقيقة هي تستغل الدين والإسلام حسب مصلحتها من خلال:

١ـ تفريغ الإسلام من مضمونه وأهدافه، فهي تتمسك بالقشور وعند الظروف وخصوصا في مواجهة الخصم أو المعارضة من قبل الناس، فتتهمهم بالخروج عن الدين، كما قال فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾[1].

(١) غافر: ٢٦.

٢ـ كما أنها تستغل الإسلام في زرع الفتن والطائفية عند الحاجة من أجل أضعاف الشعب وتمزيق وحدته، أي يجعل الشعب مشتتا في أفكاره وعقائده ليضرب بعضهم بعضا، كما كان فرعون أيضا ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1]، ويستند في ذلك (أي استغلال الدين) على شرعية العلماء، علماء البلاط والسلاطين، ليبرروا للحكومات منهجها وطريقتها وتعاملها مع الناس، فهي تستغل كذلك هؤلاء العلماء ليكونوا في الواجهة وتقربهم وتمنحهم كل المزايا والعطايا في سبيل تكريس طاعتهم العمياء، والاستفادة من خدماتهم عند الحاجة والضرورة، ولذلك هذا الدور الخبيث والخيانة الكبرى من قبل علماء السلاطين يمثل خطورة كبيرة للغاية فهم يزيفون الحقائق ويُضفون الشرعية للحكام، ويأمرون الناس بالطاعة وعدم المعارضة والنقد تحت مفاهيم منحرفة وأدلة واهية، فهم يتحملون مسؤولية كبيرة في ترسيخ هذه الأنظمة الجائرة والمستبدة واستمرارها، ولذلك نجد القرآن يحذر هؤلاء العلماء من دورهم السلبي استغلال الإسلام، كما يحذر الناس من التبعية والطاعة لهؤلاء العلماء الذين يمثلون الدين ولباسه، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ

---

(١) القصص: ٤.

مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾، ويقول الرسول ﷺ: «**قصم ظهري اثنان جاهل متنسك، وعالم متهتك**»[1]، ويقول: «**إذا رأيتم العلماء على أبواب السلاطين فبئس العلماء وبئس السلاطين**»، وفيه كناية عن خضوع هذه المؤسسة الدينية للمؤسسة السياسية والحكومات ولصالحها ضد مصالح شعوبها.

(١) بحارالأنوار ج١١١ ح٢ باب ١٥ـ ذم علماء السوء ولزوم التحر: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغش الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه**».



التحولات المشهودة في الوطن العربي

وبالرغم من هذه التحولات والثورات المشهودة التي تؤكد على يقظة الشعوب وإرادتها في رسم خريطة حياتها وتحقيق تطلعاتها نجد هذه الحكومات تصر على سياستها الاستبدادية ولا تستفيد ولا تعتبر، ولسان حالها يقول: «**هذا لا يخصنا، وان انتصار ثورة في بلاد لا يعني انتصارها في بلاد أخرى مهما تشابهت الظروف والأسباب**»، لأن المطلوب هو الحكم والاستمرار فقط، وهذه النظرة تدل على الهمجية والحماقة، وهو ما يفسر عدم شرعية هذه الأنظمة وكذلك عدم توفر الكفاءة والوعي الحياتي والسياسي والحضاري، فإدراكهم محدود بحدود رغباتهم ومناصبهم، دون أدنى إدراك إلى الواقع والظروف والتحولات، والشاهد على ذلك نجد بعض الحكومات تنتهج نفس الأسلوب والوسائل في قمع شعوبها والوقوف ضد أي مسيرة سلمية تدعو إلى الإصلاح

والتغيير وتطالب بحقوقها المشروعة، فهاهي اليمن وليبيا والبحرين والمغرب والجزائر، لا تعير اهتماما لما حصل في تونس ومصر في وقت قريب. مصداق لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]، فلماذا لا تعتبر الحكومات العربية بأخواتها ومثيلاتها؟

الحوار حقيقة أم خديعة؟

ومن الأساليب الملتوية التي تتخذها هذه الحكومات أمام الثورات والمعارضات هو شعار الحوار الذي تحول إلى موجة وإذاعة خاصة إعلامية لم تعتدها شعوب المنطقة من قبل حكوماتها، فهي لا تعترف بالحوار كمبدأ وأساس بل لا يوجد في قاموسها، لكنها اليوم تشهره أمام رياح التغيير وغضب الشعوب، صارت تلوح به من أجل خداع الناس والتفاف على مطالبهم، في منتصف الطريق وحينما تشعر الحكومات بالمأزق والخطر وضعف المواجهة، والسؤال لماذا الحكومات العربية تتجاهل مبدأ الحوار مع مواطنيها إلا حينما تشرف على السقوط؟ وبعد فوات الأوان وقبل أن يحل الزلزال والبركان؟

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

إذا هذا الشعار هو مكر وخديعة والظهور بمظهر الحريص والعاقل الذي يقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، والحامي للمسيرة، بينما الواقع يشهد على عكس ذلك، فحال الناس يسوء من زمن إلى آخر، والأزمات تتوالى والأوضاع تتردى، دون اهتمام، بل هناك تهميش متعمد، وتجاهل لكل المؤشرات، ومن جهة أخرى نجد هذه الحكومات لا تقبل النقد والمشورة والحوار من أجل الإصلاح والتغيير، بل تتجاهل كل المبادرات والمشاريع من قبل الناس والنخبة والمصلحين، ولا تسمع لهم، بل أقصى ما تقوم به هو القيام بعمليات تجميلية وتخديرية ومحاولات للقفز على كل الإرادات وتجاوز المواقف، بل الأدهي هو اتهام كل المصلحين والغيورين بالفساد والعمالة للأجنبي واتهامهم بالخيانة والمؤامرة، كما يقول تعالى في شأنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[1]، أي أن غيرهم على باطل وهم على حق دائما، فهم معصومون من الخطأ ومنزهون عن العيوب والنواقص، واتهام الآخرين في هذا الشأن بالإساءة إلى دورهم ومسؤولياتهم.

إنها لغة سهلة وبسيطة أن يرفع النظام شعار الحوار في منتصف الطريق وعند وقوع الضحايا وقتل الأبرياء

---

(١) البقرة: ١١.

وتدفق الدماء وتمزق الأجسام إلى أشلاء، فهي لغة تستخدم عادة عند الخروج من المأزق الخطير، ولذلك فهي لغة غير مقبولة ومسموعة من قبل الشعوب لأنها غير صادقة بل هي حيلة ومكر وعارية من كل مشاعر الصدق والحقيقة، فليس لها صدى وتأثير إلا عند البسطاء وأصحاب المصالح وأزلام النظام، وخصوصا من قبل الأقلام المأجورة والإعلام الرسمي للحكومات التي تسوق مثل هذه الأساليب وتلمع من منطلقاتها ونزاهة حكامها، بينما هي تتجاهل كل الحقائق وتصادر الرأي الآخر، وتشنع به، وعادة الحكومات ما تعول على هذا الطابور والإعلام أكثر من غيره وتعطيه من الأهمية القصوى، من أجل تبييض سمعة النظام، وقلب الحقائق، والإشادة بالشخصيات الحاكمة، على أنهم أبطال وقيادات ومنقذين وملهمين ومميزين على غيرهم، وهذه المواقف والسياسات الإعلامية المكشوفة قد استخدمها فرعون الطاغية مع السحرة، وأغدق عليهم الأموال الطائلة من أجل مواجهة النبي موسى، حيث قال: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[1]، والسحرة يعرفون أنهم على باطل، لكنهم

---

(١) الشعراء: ٣٤ ـ ٣٧.

يطمعون في المال، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾[١]، ولا شك أن هؤلاء وان كانوا مأجورين لكنهم يشكلون ضررا ليس فقط على الشعب ومصالحه بل أيضا على خداع الحاكم والحكومات، فهي بطانة ملونه وسيئة، وقد حذر القرآن من خطورتهم وأدوارهم لتأثيرهم على الناس والرأي العام، ولذلك وصفهم بالشعراء الذين يسحرون الناس بكلامهم وتصوراتهم ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾[٢].

الإعلام العربي الرسمي المنحاز:

وللأسف نجد مثل هذا الإعلام في الوطن العربي بشكل عام يعد برغيًا في ماكينة الحكومات، ومنحاز بشكل تاما إليها، فهو لا يعكس أبدا هموم وتطلعات الناس والشعوب، فهو ينصب فقط حول تلميع صورة الحكومات وإخفاء أسرارها وعيوبها، وكذلك التركيز على البرامج السطحية والقضايا الهامشية. وأشغال الناس بتلك البرامج الهابطة والتي تعمل على هدم القيم والأخلاق وتحط من قدر الإنسان ودوره في الحياة، ولذلك فهو يتصف بالغوغائية، ويفتقد إلى الديناميكية والإبداع؛ لأنه مأجور.

---

(١) الأعراف: ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) الشعراء: ٢٢٤.



إرادة الشعوب لا تقهر

لقد تجلت إرادة الشعوب فوق جبروت وقوة الأنظمة، خصوصا تلك التي عرفت بالشمولية الاستبدادية مثل مصر وتونس، مما يعني أن غيرها أضعف بكثير وابسط منها، وان كانت قوة الباطل مهما تراءت وتفشت فإنها لا تعدو أن تكون بالونا معبئا بالهواء، وكذلك هي الحكومات الظالمة التي تسعى دائما لتنمية قوتها وقدراتها العسكرية والأمنية وبشكل مبالغ وأكثر من حاجاتها ليس من اجل الدفاع عن الوطن أو عن الأمن القومي وإنما من أجل إرهاب الشعب في الغالب. لكن حينما يثور الشعب تجد هذه القوى تتساقط كتساقط الورق في فصل الربيع كما هو الحال في الحاضر، فماذا نفعتها تلك الدبابات والصواريخ وترسانة الأسلحة ووسائل القمع والتعذيب سوى مزيدا من غضب الشعوب والتحدي والإصرار على زوالها وهدم عروشها.

فحينما تثور الشعوب وتطالب بحقها فان الله يبارك لها ويأخذه حقها من عدوها، نعم إذا الشعب أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر، هذه اللابدية هي التعبير الصحيح، لسنة الحق والحياة ولا تصطدم معه ولا تتخلف عنه، يقول تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾[1]، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾[2]، ويقول: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3]. فحينما يقف الشعب وقفة رجل واحد، ينشد حقه وضمن الأساليب المشروعة وفي ظل المبادئ، فسوف ينتصر حتما مهما طالت مدة الثورة وقدمت التضحيات، لأن هذا وعد الله وهو لا يخلف الميعاد، يقول تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[4]، ويقول: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾[5]، كما ينبغي أن نشير إلى الحقيقة التي أكدت عليها الآية الشريفة بأن التحول والتغير لا يمكن أن يحدث إلَّا إذا كان من الداخل وبارادة الشعوب، وليس الاعتماد على الآخرين والتدخل الأجنبي، فهو الطريق لضمان الاستمرار والانتصار الحقيقي ولكي لا تتحول الثورة إلى دمار وخراب أو تفرض

---

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) الإسراء: ٨١.

(٣) الأنعام: ٤٥.

(٤) محمد: ٧.

(٥) آل عمران: ١٦٠.

عليها الإرادات وتملأ عليها السياسات، فكم من ثورة وانتفاضة ومنظمة في العالم لم تنجح ولم تصمد ولم تحافظ على مكتسباتها بسبب التدخلات وكذلك عدم نزاهة القيادات، من هنا فان التغيير الصحيح والجذري هو رهين إرادة الشعوب ليس إلَّا من أجل أن تتخلص من رواسب الماضي وتوابعه الثقيلة، وهذا ليس بالأمر الهين والسهل، لكن الله هو المعين والمخلص ومن كان مع الله كان الله معه. يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1]. ولذلك من المهم أن تتبلور هذه الإرادة الشعبية وتتحد في أهدافها وتطلعاتها ومطالبها، حتى لا تقع الاختلافات والانشقاقات وتعم الفوضى، وتحل النزاعات، فهذا ما يضعف القوة ويضيع الجهود ويبعثر الطاقات، وهي منافذ لدخول الشيطان الذي يوحي لأوليائه بأن يقوموا بدورهم من جديد في بث الفتن وسرقة الجهود والعمل على انحراف الثورة عن خطها، يقول تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[2]، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[3].

ويمكن الإشارة إلى أهم عوامل تحقيق هذا الإرادة الشعبية وبلورة أهدافها ومنطلقاتها.

---

(١) الرعد: ١١.
(٢) آل عمران: ١٠٣.
(٣) الأنفال: ٤٦.

أولاً: تعميق الإيمان بالله والاتكال عليه:

فهو مصدر القوة والعظمة، وان الكثير من الآيات القرآنية تؤكد على هذه الحقيقة الناصعة، وكم بحاجة للإنسان والشعوب أن ترتبط بالله وتكون علاقتها بالله وثيقة، فالإيمان هو أساس الشعور بقيمة الحياة والكرامة والحضارة وكذلك بقيمة الحقوق المشروعة والمبادئ الحقة مثل الحرية والعدالة والمساواة، ولولا ذلك لم يكن للأمل قيمة وسوف تخور العزائم ينفذ الصبر، خصوصا في عالم انصبغ بالروح المادية وتفشى فيه الظلم وانتشرت فيه الرذيلة، وتغلبت فيه الأنانيات، فهذا كله يؤكد على الشعور والحاجة إلى تعميق الإيمان والاتكال على قوة الله وشحن العزيمة بالصبر، يقول تعالى: ﴿**وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾[1]، وقال: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا**﴾[2]، والقرآن حينما نتحدث عن المؤمنين المخلصين فانه يشير إلى أهم تلك الصفات الإيمانية التي يتخلفون بها وهي قيمة الإيمان والتوكل على في كل شيء، وخصوصا في تلك الظروف الصعبة في مواجهة التحديات والسير في المنعطفات، يقول تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا**

---

(١) التوبة: ٥١.

(٢) الطلاق: ٢.

ﭐللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[1]، وما قياس قوة الطغاة وجبروتها أمام قوة الله وقدرته ويقول: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2].

ثانياً الوعي للمطالب والحقوق المشروعة:

فحينما يتسلح الشعب بالوعي لهذه الحقوق والمطالب فسوف يندفع ويجاهد من أجل تحقيقها مهما كانت المخاطر والصعوبات، ويكون أكثر شجاعة وصبرا، لأنه سوف يشعر بالمسؤولية الكاملة أولاً أمام الله الذي مَنَّ على عباده بالكرامة الإنسانية والنعم التي لا تحصى، وثانياً من أجل تحقيق السعادة والحياة الفاضلة التي فضلها على كثير من العالمين، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[3]، وان التنازل عن هذه الحقوق يعد جريمة في حق الإنسان نفسه، وكذلك في حق الله، لأن الله لا يقبل من الإنسان أن يذله نفسه أو أن يعيش الحرمان والقهر دون أي مقاومة أو إنكار، فلماذا يستضعف الإنسان وكذلك الشعوب نفسها وتستسلم للظروف والقدر وكأنه مسلوب الإرادة والحرية والمقدرة، فهذا ما لا

(١) آل عمران: ١٧٣.
(٢) يونس: ٦٥.
(٣) الإسراء: ٧٠.

يرضاه الله سبحانه ولا العقلاء والغيارى على حياتهم ودينهم، ولذلك نجد في القرآن ذلك التوبيخ للمستضعفين الذين استضعفوا أنفسهم مع قدرتهم على المقاومة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ فلا يجوز السكوت على الظلم، ومع عدم القدرة على الخلاص يجب الخروج والهجرة حيث يجد الإنسان مراغما كثيرا وسعة، من هنا يجب كذلك نشر الوعي بين الناس والجماهير بهذه الحقيقة كي لا يستمروا في حياة الذل والهوان والتخلف والانحطاط. وهذه مسؤولية كبيرة يتحملها الدعاة والطلائع من المفكرين والمثقفين، وأن لا يستنكفوا من التواصل مع الشعب بكل فئاته وأطيافه كي يحققوا الهدف والرسالة من دورهم وتطلعاتهم. وبمقدار تسلح الشعب بكامله بالوعي سوف يكون كتلة بشرية واحدة في ساحة المعركة والنضال والجهاد ويقدم الدعم الكامل والتضحيات. وبلا شك سوف تسعى الأنظمة الحاكمة بكل وسائلها ومكائدها من وصول هذا الوعي للناس، وهذا ما يفسر مواقفها ومحاولاتها الإقصائية للعلماء والمصلحين وأصحاب الفكر والكلمة والرأي بل لا ترتدع من زجهم بالسجون وتصفيتهم واغتيالهم، ومطاردتهم في كل بقاع الأرض.

ثالثاً: المطالبة بالإصلاحات السياسية الجذرية:

فلا يكتفي الشعب بتلك الإصلاحات الجزئية والسطحية والتجميلية لأنها لا تحقق الهدف، كما نرى هذه الحكومات حينما تكون في ميدان المواجهة تحاول أن تغير بعض الشخصيات ورجالات الحكم والرموز، أو تقدم بعض التنازلات، دون المساس بجوهر النظام السياسي، فالثورة الحقيقية هي الثورة على أسس النظام الفاسد ودستوره وقوانينه، لأنه يفتقد الشرعية والأهلية، أما الأشخاص والرموز فقد تتغير ويأتي من هو أسوأ منهم، أو من يسير في فلكهم، ويخضع لتوجهاتهم، والشواهد على ذلك كثيرة، وفي الانقلابات العسكرية بشكل واضح. فيجب على الشعوب أن لا تنطلي عليهم هذه الخدع والأساليب، فالحكومات المستبدة والظالمة تمتلك من القدرات والوسائل الخبيثة ما لا يمكن تصوره، حتى أنها يمكن أن تضحي برجالاتها ومن هم في دائرتها من أجل طمأنة الناس بينما هي تبطن السوء وتسعى للالتفاف على كل المطالب، ولذلك فهي تكتفي بالوعود للناس وترسم لهم الحلول الجميلة وتعيش الناس في وهم المستقبل دون تحيق شيء على أرض الواقع، كما أنها تتعمد الكذب والمراوغة لكي يصدقها الناس، فكل صفات أهل النفاق ماثلة في حياتهم وسيرتهم وأقوالهم،

وهي الكذب والخيانة ونفض الوعود. وقد تنطلي بعض هذه الوسائل الإصلاحية القشرية على الناس مثل أن تقدم بعض الحكومات برفع الرواتب وتقديم المكافآت ليفرح الناس بها مؤقتا لكنها من جهة أخرى ترفع الضرائب والأسعار في الأسواق فهل يقبل الناس بذلك؟ والخلاصة أن الحكومات التي تفتقد إلى الشرعية لا يمكن أن تساهم في إصلاح البلاد أو الاهتمام بالعباد، ولو شاءت أن تضحي بشعوبها لفعلت، فهي اليد الأولى السارقة والظالمة وما يهمها في فترة وزمان الحكم هو تأمين أكبر قدر لثروتها ورصيدها إلى حين ساعة الخروج والرحيل. وهذا ما اتضح وسوف يتضح في كل البلاد العربية بان هذه الحكومات الاستبدادية حينما يثور عليها الشعب، تستعد للرحيل بل هي مهيأة لمثل هذه الظروف، لأنها تمثل جسم غريب في جسد الأمة، ولهذا أيضا تطالب الشعوب برحيلهم تحت شعار «**ارحلوا**». ولذلك إن التغيير الشكلي أو بقاء شيء من مخلفات هذه الأنظمة بعد الثورة يعرض المسيرة الإصلاحية إلى الأضرار والثورة إلى المخاطر والانزلاق، فالورم السرطاني أو الغدة إذا لم تستأصل من جذورها فإنها قابلة على العود والعدوى والانتشار من جديد، فيجب قطع الشر من جذوره، خصوصا أن هذه الحكومات والأنظمة السياسية الاستبدادية قابلة إلى الاستنساخ والتوارث

بين الأبناء والأحفاد والأجيال، فلا يكتفي الحاكم بالبقاء مدة طويلة وعقود زمنية وإنما يفكر كيف يحتكر السلطة إلى أبنائه وذريته، دن منازع وحسب تعبير رئيس منظمة التحرير السابق ياسر عرفات (يا جبل ما يهدك ريح، وشاء من شاء وأبى من أبى)، شعار مشهور وواقعي يتناسب مع وضع حكامنا وحكوماتنا العربية دون غيرها؛ لأن قصدية العدوة إسرائيل.

الحرية لا بديل لها:

فإنها أساس فلسفة وجود الإنسان، ومن خلالها تناط المسؤولية، فلا يمكن التعويض عنها ولا بديل لها، فهي تأتي في مقدمة المطالب السياسية والأساسية كي يعبر الشعب عن نفسه وعن قضاياه ويتحمل مصير مواقفه وتطلعاته. ولا يفهم ويساء مفهوم الحرية على أنها حرية تنفس الهواء أو إشباع البطون وامتلاك القصور وتلبية الرغبات والشهوات، كلا فهذه الحرية لا تقتصر على الإنسان، فأكثر هذه المطالب يشترك فيها حتى الحيوان، لكن المقصود هي القدرة على التعبير عن الإرادة في القول والفعل والمواقف دون خوف وخشية وكذلك هي السبيل لتحقيق الكرامة وهذه الأخيرة من أهم الغايات، وقد عبر المفكر الغربي صاحب كتاب (الإنسان ذلك المجهول) كارل عن مفهوم الحرية هي القدرة على الانتخاب ما هو الأفضل للإنسان.

من هنا يجب المطالبة بإزالة كل المعوقات والسدود التي تقف حاجزا منيعا، مثل قوانين الطوارئ العسكرية التي تلوح بها الحكومات الاستبدادية، وعدم إنشاء الأجهزة البوليسية والاستخباراتية التي ترصد الأنفاس والحركات على الناس. وكذلك عدم إنشاء السجون السرية، وتحرير القضاء من قبضة الحاكم، وحينئذ سوف يشعر الناس بقيمتهم وأدوارهم وما أنيط بهم من مسؤوليات، لأن الحرية كما أنها نعمة عظيمة وكبرى منحها الله للعباد فهي أيضا مسؤولية وأمانة يجب المحافظة عليها وصيانتها والوقوف عند حدودها. وفي هذا الشأن ينقل عن الخليفة الثاني قوله المشهور: «**متى استعبدتم الناس وقد خلقكم الله أحرار**»، أما الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فله قول أعمق وأصوب حيث يقول: «**لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حـرًا**»[1]، وهذا يعني أن لا نقبل بالظلم والاستعباد من الأساس، كي لا نبرر مظلوميتنا أو نلقي بالمسؤولية على الآخرين ولذلك جاء في الحكمة المشهورة: «**الوقاية خير من العلاج**» و«**درهم وقاية خير من قنطار علاج**» والقنطار هو المال الكثير. ولذل فان الحرية والعدالة والمساواة كلها مبادئ عامة ومشتركة لا تنحصر بإنسان أو شعب، بل هي قيم إنسانية وإيمانية وحضارية، وكما قيل: «**إن الظلم في أي**

(١) نهج البلاغة، وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام بحاضرين.

بقعة من العالم هو ظلم لكل العالم، وانتهاك صارخ للعدالة والكرامة الإنسانية، وقد أكد القرآن على هذه الحقيقة حيث يقول: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]».

دماء الشهداء الغالية:

فليس هناك شيء أزكى وأغلى من دماء الشهداء الذين يتساقطون أشلاء وتسيل دماؤهم على أرض الحرية، فلأن الحرية تستحق كل ذلك، فهي أساس للكرامة الإنسانية، فهذه الدماء ثمن وضريبة، ولكنها أيضا سر البقاء والخلود والاستمرار والانتصار، فما من شيء ينتزع بالقوة إلا ويتطلب التضحيات وتقديم الضرائب والأثمان، «**وإذا كانت الدماء والجروح تثير الأحزان وتمدي العيون بالبكاء وتوقع المآسي وتجرح المشاعر وتكسر القلوب وتهيج المشاعر والعواطف خصوصا من قبل النساء والأطفال والأبرياء لكن هذا أمر لا بد منه، وفي النهاية سوف تعلو الابتسامة الشفاه ويفرح المؤمنون بنصر الله**» ، أما الشهداء فحقهم الجنة في الآخرة، أما في الدنيا فهم رموز الشرف والنبل والاعتزاز، فحياتهم ذكرى عطرة على

---

(١) المائدة: ٣٢.

صفحات التاريخ وسيرة الأجيال المتعاقبة، كما قال الشاعر العربي أحمد شوقي:

فـارفـع لـنـفـسـك ذكـرهـا عـنـد موتها

فــالــذكــر لــلإنــســان عــمــر ثــان

فالشهداء أحياء مخلدون، أما دماؤهم فهي تختلف عن غيرهم، فهي طاهرة، فالشهيد في المعركة يدفن بدمه لا يغسل، وهذه كرامة أخرى. إذا فلا نخشى المصير والفوت، فأما النصر أو الشهادة وهي الأعلى وغاية المنى لكل الأحرار والشرفاء، ونجد هذه الحقيقة لامعة في كتاب الله العزيز، حيث يقدم الشهادة على النصر، يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وفي الحديث: «**اغزوا تورثوا أبناءكم عزًّا**»[٢].

الدم ينتصر على الدبابة والرصاص:

هذا هو منطق التاريخ حيث انتصر الدم على السيف، أما في الحاضر فقد انتصر على الدبابة والرصاص، فمهما توغلت

(١) الصف: ١٠ ـ ١٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص١٥ ح١٩٩١٦.

الحكومات في أساليب العنف والجريمة واستخدمت كل ما لديها من وسائل القمع والإرهاب والقتل والبطش وإطلاق الرصاص والى القذف والدهس بالدبابات وإطلاق الغازات المسيلة للدموع، فإنها لا ينمكن أن تحول أمام تقدم وزحف الشعب والتظاهر، وقد كشفت الثورتان في الحاضر تونس ومصر، إن إراقة الدماء هي بداية سقوط الأنظمة، وتنازلها وتراجعها، لأن ذلك مدعاة للغضب الجماهيري والتصعيد الشعبي وكذلك سبب لرفع سقف المطالب المشروعة، فدماء الشهداء غالية عند الله قبل كل شيء، وهي أيضا مصدر العزيمة والقوة وطرد كل المخاوف التي تنتاب الناس، فهي تلهم الناس بالشجاعة الكافية، فالشعب الذي يضحي بدمه لا يمكن إلا أن يكون قويا وشجاعا وحيا، وصاحب حق، ولذلك لا يمكن إلا يكون منتصرا، وان الظالم القاتل مهما تتظاهر بالقوة والتماسك وشهر السلاح وسعى في زهق الأرواح فهو في الواقع ضعيف يخفي عجزه وانهزامه النفسي قبل انهزامه على ارض الواقع، فهذه القوة التي تتظاهر بها الحكومات وتستعرضها هي أشبه ما يكون بالبالون فكل تضخم كلما اقترب من الانفجار والتلاشي، حتى كأنه لم يكن، وهذا هو الباطل يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

التنمية البشرية:

فلا يمكن وجود تنمية حقيقية إلَّا في ظل الحرية والكرامة، فالحرية أساس التفكير والإبداع والتطلعات الطموحة، فالاهتمام بالإنسان هو اهتمام بكل شيء، والعكس صحيح، فهو محور الكون وتعاليم السماء، فهو الخليفة الذي سخر الله له كل شيء، وذلك يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[1]، أما الاستبداد فهو الذي يشل تفكير وحركة الإنسان وتقضي على مواهبة وطموحاته، والنتيجة الطبيعة لذلك هو الجمود والتخلف والانحطاط، فلا غرابة أن نجد البلاد العربية من أدناها إلى أقصاها تعيش وتتفشى فيها هذه الظواهر وذلك لأنها حكومات متخلفة، بينما نجد الغرب يتقدم باستمرار ويتفوق في كل شيء وذلك نتيجة الحرية ليس إلا. إذاً التنمية البشرية هي الطريق للتنمية الطبيعية واستغلال فرص الحياة بشكل أمثل.

الاستقلال وليس التبعية:

فالاكتفاء والشعور بالاستقلال إنما ينبع من خلال الاعتزاز بالنفس وتنمية القدرات الخلاقة في نفس الإنسان أولا، والاستفادة الكاملة من كل الإمكانيات والطاقات الطبيعية التي

---

(١) الجاثية: ١٣.

منها الله على العباد من خلال الثورات الهائلة والنعم المختلفة ثانيا، وتسخيرها في مصلحة الإنسان والبشرية ثالثا، والحرية الحقة هي التي تؤمن هذه الروح من خلال الإبداع والتنافس والمحفزات، ولكن للأسف قد عمدت الحكومات العربية على تهميش الإنسان المواطن وقتلت تلك الروح الإبداعية، ومن جهة أخرى كرست عوامل التبعية للغرب، والاعتماد عليه بشكل مباشر والاحتياج إليه في كل شيء، ليصبح الغرب في نظر هذه الشعوب العربية هو العنصر المتفوق دائما والمتقدم، والعرب هم المتخلفون والبائسون، وهذا بدوره كرس الشعور بالانبهار بحضارة الغرب والشعور بعقدة الحقارة، وبسبب هذه التبعية السياسية والاقتصادية تكرست تلك في أوطاننا تلك السياسات والمشاريع التي تقضي على كل المحاولات والمشاريع التنموية الصحيحة، ولذلك اكتفت هذه الحكومات بتلك المشاريع الخدماتية والمظاهر العصرية مثل إنشاء الأبنية الشاهقة والملاعب المزروعة والمطارات المطرزة بإشكالها الهنسية دون الاهتمام بتلك البنى التحتية، ونتيجة لذلك تحقق العجز الكامل أمام متطلبات الحياة ومواكبة العصر، والهوة بيننا وبينهم أي الغرب تتسع يوما بعد يوم وباستمرار، وما زالت هذه التبعية تتسع لتشمل جميع ميادين ومرافق الحياة، والثورة الحقيقية إنما تعني إعادة صياغة الحياة من

جديد على أسس متينة، والانقلاب على تلك النظم السياسية والاقتصادية، واستبدالها بالقيم والرؤى الحضارية وبالتنمية الحقيقية، والتي تبدأ بتحرير الإنسان والشعب من هذه القيود والتبعية، والاعتماد على الذات فهي أساس البناء والثقة والتقدم، وهذا من أهم مكتسبات الثورة والإصلاح والتغيير نحو الأفضل. وهي الطريق لتحقيق الاكتفاء، يقول الإمام علي عليه السلام: «**احتج لمن شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيرة، وأعط إلى من شئت تكن أميره**»[1]. لكن المشكلة تكمن في هذه الحكومات وسياستها وانفصالها عن دينها وعن تطلعات شعوبها، فهي سبب جذري ورئيسي لفقدان الاستقلال.

(١) نهج البلاغة.



الالتفاف حول الرموز والقيادات الإصلاحية الشريفة

فكما أن الثورات لا تنطلق من فراغ، فكذلك فإن استمرارها وثباتها وتحقيق أهدافها تحتاج إلى القيادات والرموز والشخصيات ذات الكفاءة والوعي والصلاح وذلك لسببين مهمين:

١ـ لامتلاكهم التجارب وتراكم الخبرات في عملية التغيير والإصلاح، فهؤلاء لهم تاريخ ونضال وسجال مع الواقع ومع الحكومات، ويملكون من المعلومات أكثر من غيرهم، فليس من الصحيح تخطي هذه القيادات، مهما كانت الظروف، كأن تكون كثير من هذه القيادات في المنفى، بسبب عملية الإقصاء والمطاردة من قبل النظام السياسي، لكنها في الواقع لا تنفصل عن مجريات الأمور والأحداث في الوطن، فهي

تتصل بالشعب بشكل أو بآخر، ولذلك نجد الأنظمة تحاول أن تقلل من أدوارهم وتشوه صورتهم، بأنهم عملاء، وأنهم يعيشون خارج هموم الوطن، والسؤال هو لماذا خرجوا أو نفوا من الوطن؟

٢ـ فهذه القيادات التي تنبثق عادة من تيارات أو منظمات أو أحزاب تمتلك من الرؤى والبرامج في الحكم والإصلاح، فهي تمتلك البدائل والحلول، ومهيأة عادة وجاهزة لما بعد السقوط، ولذلك من الأهمية الرجوع والمشاركة والالتفاف حول هذه القيادات.

الشباب ذخيرة حية وسند كبير:

لقد أثبتت الثورات المنتصرة بأن جيل الشباب هو الذخيرة الحية وهم أساس الاعتماد في عملية التغيير والإصلاح وكذلك الثورة، فمن دونهم لا يمكن تحقيق ذلك، فهم أسبق لكل خير، كما أن حماسهم وقدراتهم وطاقتهم تؤهلهم إلى رسم هذا الدور والقيام بما لا يستطيع غيرهم أن يقوم به، والتي عجزت ربما عنه كل الأحزاب والتيارات التي لها تاريخ طويل.، فهم يشكلون الأرضية الخصبة والانطلاقة السريعة ويتحلون بالشجاعة والقيام بالأدوار البطولية والتضحية من أجل تحقيق آمالهم وتطلعاتهم. ولذلك من المهم أن تكون

هناك نظرة جـادة وايجابية فـي الاهتمام بالشباب ومحاولة استقطابهم، ولـيس تهميشهم. ولـلأسـف نجد الكثير من التيارات والأحزاب لا تعول ولا تهتم بهذه الشريحة، أو تقلل مـن شأنها، على أنها مرحلة بعيدة عـن تحمل المسؤولية وقلة النضج والـوعـي.. وخصوصا حينما نجد الشباب في بعض فتراتهم يميلون إلى اللعب واللهو والاهتمام بالهوايات الهامشية دون إحـسـاس لـما يـجـري ويـحـدث، نـقـول هـذا صحيح من جهة، ولكن هذا لا يقلل من استعدادهم وقبولهم وتفاعلهم مـع كـل القضايا المهمة حينما يحسن التعامل معهم ويتم توجيههم، إذا فالشباب يشكلون القاعدة الشعبية والأساسية في إحداث التحولات وكذلك قيام الثورات، ومن يراهن على غير ذلك فهو يفتقد إلى الموضوعية والمصداقية. فالشباب مهما ابتعدوا وقلت هموهم الحقيقية وتشاغلوا عن مصيرهم وعن أوطانهم، فهم في الواقع ذخيرة حية وسند كبير لكل الثورات، خصوصا في عالمنا الحاضر، لقدرتهم على التواصل الاجتماعي عبر وسائل الاتصال الالكترونية والاستفادة منها أكـثـر مـن غـيـرهـم، وكـذلـك تسخيرها فـي صالحهم ومصلحة الأوطان.

قيادة الشباب للساحة الشعبية:

لقد بـرزت هذه القيادة لـدور الشباب من خلال الثورتين خصوص فـي مصر، فهم مـن ملكوا زمـام الأمـور وفرضوا أدوارهـم وقناعاتهم على أرض الواقع، لكن يجب أن نقول ونشير بأن هذا الدور ومع أهميته فهو بحاجة إلى من يكمله ويحقق أهدافه إلى النهاية، ويمكن أن نعبر عن هذه الفكرة والحقيقة من خلال التالي:

إن أي ثـورة تـمر بمرحلتين: أولا ـ مـرحـلـة الـثـورة والانـقـلاب عـلـى إسـقـاط الـنـظـام الـقـائـم وفـرض المطالب المشروعة، وهـي مرحلة النشوة والانـتـصـار. ثانيا ـ مرحلة مـا بـعـد الـسـقـوط، أي المحافظة عـلـى تـلـك المكتسبات والمطالب والاسـتـمـرار، وهـذه المرحلة هـي الأحـوج إلى النضج والوعي والخبرة والبرامج السياسية، فمن دونها قد تفقد الثورة والمسيرة الإصلاحية قدرتها على الثبات وربما عاشت التخبط بسبب فقدان الرؤية الكاملة والاستراتيجيات، خصوصا حول نظام الحكم وإدارتـه ودبلوماسيته ومهامه في الداخل والخارج وتقدير وتوزيع المهام والمسؤوليات، كل ذلك يفرض علينا مهمات ومتطلبات ودبلوماسيات مختلفة بينها وبين تلك المرحلة الأولـى، ففي هذه المرحلة الأولى (أي عند قيام الثورة والتغيير للنظام نجد بـروز قـدرة القيادة

الشبابية بشكل لا يمكن وصفه، فهي قادرة على الاستمرار في المظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات أياما وليالي وسعي وإصرار وحيوية إلى أمد بعيد، لكن كل ذلك قد لا يكون كافيا للمرحلة الثانية (أي ما بعد السقوط) والتي تحتاج فيها هذه المرحلة إلى العقلانية والخبراتية والجاهزية أكثر من كل شيء، فلو سألنا القيادة الشبابية ما هي البرامج والرؤى الاستراتيجية والمستقبلية في هذه المرحلة؟ نجد في الغالب الإجابة غير موجودة وواضحة وهذا له مبرراته الطبيعية والموضوعية. ولذلك نقول مهما كانت أهمية القيادة الشبابية فهي بحاجة دائما إلى تلك القيادة التاريخية إن صح التعبير، والى الرموز والشخصيات التي لها دور السبق في ساحة النضال والعمل الإصلاح والتغيير، من هنا يجب تحقيق التكامل في الرؤية والموضوعية بالاهتمام بالقيادتين ومحاولة الدمج بين القيادتين دون التقليل من دور أحدهما، فلا يجوز لتلك القيادة التاريخية أن تقلل من شأن الشبابية وعزلها ونسيان دورها في ساعة العسرة والثورة، حيث يتم أحيانا تهميش الشباب حتى في ساحة العمل والحركة بينما تتشبث القيادة التاريخية بالمكانة والموقعية والمناصب، لتبقى دائما في دور الموجه والمرشد ودائرة الاهتمام، ولذلك مما يؤخذ على بعض الحركات والأحزاب والمنظمات هو وجود الجمود والتحجر

وعدم التجدد لقياداتها وهي أشبة لدور الحكام في الأنظمة، فكما يعاب على الحكام هذا التشبث فكذلك أيضا بالنسبة إلى القيادات التاريخية في الحركات وعدم الحد من صلاحياتهم، والمشكلة في ذلك تكمن في أن تتحول هذه القيادات والرموز إلى صنميات، وكان من الأولى والأجدر مراعاة الظروف والمتغيرات والمستجدات وكذلك التحقيق في المؤهلات والكفاءات التي تتطلبها الساعة والساحة. فالنظرة الاستعلائية نظرة خاطئة وموهنة وهي سلبية للغاية ولها انعكاسات سواء على القيادة نفسها أو على الجسد والأتباع والممنتمين. إذا لا بد من حالة التجدد المستمرة، وخلق قوى ورموز متعاقبة قادرة على مجاراة الواقع والأحداث والتحولات، وبالطبع هذا لا يقلل من مكانة هذه الرموز التاريخية، فليس المقصود إقصاؤها وتبديلها بدون سبب خصوصا إذا كانت فاعلة ونشطة وذات كفاءة عالية وتتفوق على غيرها، إنما المقصود أن لا تتحول إلى سقف وصنمية، تفقدنا الصواب وتحجب عنا رؤية العيوب والنواقص والخلل، سواء في الذات والشخصية أو في المسيرة.

وإذا كانت القيادة التاريخية قد تبتلى بهذه الحالة فتصاب بالإعجاب والغرور وتقزيم لدور الآخرين، فان القيادة الشبابية ايضا قد تبتلى بالغرور والتهور بالنظر إلى دورها وقدراتها

وحماسها وجماهيريتها.، فتتجاهر وتشعر بأنها أقرب إلى مجاراة الواقع ومحاكاة مشاعر الناس، وهذا ما يدفعها أحيانا إلى التقليل من احترامها إلى قياداتها التاريخية ورموزها، وربما يقودها ذلك إلى الانفصال عن الحركة والتيار، لتكون نفسها بنفسها. ومن اجل ذلك لا بد من التخلص من هذه الحالة وتبعاتها وسلبياتها وضرورة التواضع والتكامل والنظرة الايجابية، كما هو مطلوب أن يعرف الإنسان قدر نفسه كذلك يجب أن تعرف القيادات والتيارات والحركات قدر نفسها في الساحة والعمل والثورات، كما يقول تعالى: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ**﴾[1]، وفي الحديث: «**ما هلك امرؤٌ عرف قدر نفسه**»[2].

ولا بد من الإشارة عن أهمية دور الشباب في هذه المرحلة حيث إنها تملك القدرة في تحويل الأحلام والطموحات والتطلعات إلى حقيقة على ارض الواقع، وبدونها تبقى تلك النظريات والرؤى والأفكار، بل حتى المبادئ والقيم حبيسة الكتب والصدور والشعارات، ونحن في هذا العصر والظروف يحتاج فيه الناس والشعوب إلى من ينتشلهم وينقذهم من

(١) النجم: ٣٢.
(٢) مشكاة الأنوار: ٢٤٥.

أوحال التخلف والحرمان والقهر وليس فقط إلى من يوجههم ويقرأ عليهم دون وجود أمل وحلول على أرض الواقع. ومع وضوح هذه الحقيقة من خلال الشواهد الحياتية والثورات التي حدثت، فكذلك علينا أن لا نظلم الحكمة التي تقول: «**رأي الشيخ أحب إليَّ من جلد الغلام**»[1]، فكما نحتاج إلى هذه القوة الشبابية على أرض الواقع فيجب علينا أن نحترم الآراء والعقول والتجارب، لكي نجمع في حركتنا وثورتنا بين الهدم والبناء، بين الثورة وإسقاط النظام الفاسد وبين قيام النظام الصالح والعادل. كما يجب ومن الضرورة أن تقدم القيادات والتيارات والأحزاب نفسها في الساحة لقيادة الشعب خصوصا عند الثورة والغليان والغضب الجماهيري فتأخذ زمام المبادرة، حتى لا تبقى بعيدة ومهمشة وغير معروف، وتحسب نفسها بأنها الكل فالكل في الميدان أو لم يحن وقت دورها، فهذا خطأ تكتيكي واستراتيجي، حيث في الأول يفقدها المصداقية وهي بعيدة عن هموم الناس وعدم التضحية، وفي الثاني فإن الساحة مفتوحة للجميع وان الناس لا يعرفون في الغالب إلا من يكون معهم خصوصا في الظروف الصعبة ويمثلهم، والأخطر في هذا الأمر الاستراتيجي هو استغلال هذه الثورة من قبل عناصر

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم ٨٦.

سيئة سواء من العهد الماضي للنظام أو من يحاولون أن يركبوا الموجة والسفينة ويستفيدون من كل العوامل المهيأة.



أخلاقيات الحركة الإصلاحية والثورة

وإذا كانت الحرية هي المطلب الأساسي والأول فإن الأخلاق هي السياج الذي يحافظ على هذه الحرية من الانحراف والتهور، فهي التي تصون المبادئ، ولذلك قيل «**بأن الحرية تقيد الحرية**» فحرية الإنسان يجب أن لا تصدم بحرية الآخرين ولا تضرهم، ولا يمكن الالتزام بهذه القاعدة والتمسك بهذه القيد إلا من خلال الأخلاق، وإلا تحولت الحرية إلا دمار وفوضى وتعدي على الحقوق. إذا نحن مطالبون ومن خلال هذه المطالب المشروعة والإصلاحية وعملية التغيير إلى عنصر الأخلاق، وبدونها يتحول الإصلاح إلى فساد والثوار إلى أشرار ووبال على حياة الناس، إذا الأخلاق هي ديمومة الروح الاجتماعية والسلوك الحضارية كما قال الشاعر:

إنــمــا الأمـــم الأخـــلاق مــا بـقـيـت

إن هــم ذهــبــت أخــلاقــهــم ذهــبــوا

ومن هذا المنطلق يجب الالتزام بالحدود المختلفة وعدم التعدي على الممتلكات الخاصة والعامة، وكذلك المحافظة على المكتسبات والانجازات التي هي حق للجميع وللأجيال. ومن الشواهد الحية التي برزت وتدل وتشير إلى حقيقة الوعي هو موقف شباب الثورة في مصر، حيث حافظوا على بيت التراث المصري وعمدا إلى تنظيف الشوارع من المخلفات بعد انتصارهم ورحيل الرئيس.

ولـذلـك يؤكد الـقـرآن على هـذه الـقـاعـدة حيث يقول: «**وليس المصلح كالمفسد**» وليس البناء كالهدم، فهذه قيم لا تحتاج إلى تفكير، لكنها تحتاج إلى التزام وتطبيق على مستوى الكلمة والفعل وعلى مستوى الأفـراد والجماعات وفي ساحات العمل والميدان، وكذلك في حال الثورات على الأنظمة، ولذلك نقول أيضا بـان الأخـلاق هي التي تبرهن على صحة وسلامة ما نتبناه من فكر أو مشروع سياسي أو تطلعات ولذلك تعتبر المظاهرات والمسيرات السلمية هي التعبير الأمثل والأفضل في حركة الشعوب. أما حينما تفتقد هذه الحركة إلى الأخلاق فإنها تفقد شعبيتها سواء في الداخل أو الخارج وتصبح مدينة وليست دائنة. وهذا يعني أن شرعية

الخروج والمطالب والثورة لا يبرر الوسيلة وانتهاك الحقوق أو التعرض إلى المصالح الخاصة والعامة، وإذا كانت هناك حقوق قد أهدرت وأموال قد سرقت من قبل النظام وأزلامه فهناك وسائل وقوانين لاستردادها ومحاصرتها، فكما أننا أصحاب حق وحقوق فإننا أيضا أصحاب مبادئ وقيم والتزام بشرع. ولذلك فان المبدأ الإسلامي يقر «**بأن الغاية لا تبرر الوسيلة**» بأي شكل من الأشكال، وإنما كلما كانت الأهداف والتطلعات والقضايا سامية وحضارية كلما دعت الضرورة والواجب الالتزام بالأخلاقيات». لأنها التي تكشف عن هويتنا وتحضرنا ووعينا.

إننا اليوم وفي ظل التحولات الثورات يتأكد فيه هذا البعد الحضاري دائما وأبدا وفي كل شؤون حياتنا الفردية والأسرية والاجتماعية، لكن التأكيد عليها في الثورات والإصلاحات هي ضرورة استثنائية للأسباب التالية:

١ـ أنه قد يتصور البعض بأن المظلومية من قبل الحكومات والنظام السياسي تبرر له كل الوسائل والأساليب في سبيل إزالة الظلم والنظام. وهذا أمر غير صحيح. وإنما تقدر الضرورات بقدرها، يجب أن تكون قضيتنا عادلة، فلا يجوز أن نقتص من الظالم أكثر مما يستحقه، وهذا يدعونا أن نسلك الطرق المشروعة والصحيحة في توصيل القضية

والمظلومية من جهة وأن نحقق مطالبنا وأهدافنا بنفس الطرق المشروعة، وهذه هي الأخلاق الإسلامية وجوهرها العدل. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

٢ـ إن الثورة على النظام الفاسد هي ثورة خلاقة، نابعة من الإحساس والشعور بكراهية الظلم وآثاره المدمرة للحياة وسعادة الناس، فيجب أن يتحول هذا الشعور إلى قوة في نفس الإنسان نحو الإصلاح والتغيير لذاته ويزكيها من الظلم وعوامل الشرور، وهذا الخلق هو من الانعكاسات الايجابية في أخلاقيات الثورة، فهي ثورة على الظلم الواقعي، وثورة على الذات الداخلية، وتعبير أدق أن الثورة على النظام القائم لا بد أن يكون انعكاسا وترجمانا للثورة والتغيير والإصلاح بدخل الإنسان مصداق لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]، فعظمة الإنسان وقوته الحقيقة إنما هي تنبع من

(١) المائدة: ٨.

(٢) الرعد: ١١.

قوته في نفسه وإرادته وإيمانه، وليس فيما يمتلكه من وسائل في يده أو قوة خارجية، ولذلك فان بناء النفس في نظر الإسلام هي الجهاد الأكبر. وفي الحديث: «**أقوى الناس من غلب هواه**»[1] أي لا نهاية لقوته ولا حدود، ومن يعيش الضعف في نفسه لا يمكن أن يصبح قويا أمام الناس ويواجه الحياة، فإن شبح الخوف والشعور بالضعف سوف يطارده مهما أحاطت به من مؤثرات وإحياءات تدفعه نحو الشجاعة والإمام.

ولذلك حينما يفتقد الإنسان أو الشعب إلى هذه القوة الحقيقية والخلاقة، فانه لا يستطيع أن يتغلب على أعدائه وأن يزيل كل مظاهر الظلم والقوى التي تحكمه، بل سوف يكون أسيرا وعبدا إلى أهوائه وشهواته وأطماعه، كما في الحديث «**الطمع رق مؤبد**»[2]، و«**كم من عقل أسير عند هوى أمير**»[3]، فكم من ثائر ومصلح طوى حياته في هذا السبيل وحينما يصبح في مواقع القوة والحكم ويتولى المناصب الرئاسية يتحول بدوره إلى ظالم ونسخه أخرى للذي كان قبله، ومصداق لقوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[4]، والشاهد على ذلك هو الحكومات

---

(١) غرر الحكم، الحكمة رقم ٤٩٠٢.
(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة رقم ١٨٠.
(٣) غرر الحكم، الحكمة رقم ٨١٩.
(٤) البقرة: ٢٠٥.

العربية التي جاءت عن طريق الانقلابات أو الاستعمار أو الانتخابات المزيفة حيث يتحولون بعد الوصول إلى مبتغاهم إلى شياطين وظلمة يسومون شعوبهم سوء العذاب. فهو يرفعون شعارات جديدة ويوعدون الناس بإصلاحات، ليثبتوا للناس أنهم غير النظام السابق، لكنهم قد يكونوا أسوأ مصداق لقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾، من هنا يؤكد الإسلام على النزاهة والأخلاق في شخصية المصلح والداعية، وهي تنطبق تمام الانطباق على الشعوب التي تثأر لنفسها وتسعى لتبديل أنظمتها فإنها تلتزم الأخلاق والمقومات الحقيقة في الإصلاح والبناء، ففي الحديث «**إنما يقيم حكم الله من يأمر بالمعروف ويقيم الحدود**». والمقصود من حكم الله هو أن تكون الأنظمة والقوانين عادلة ولا يفهم هو قيام الدولة الدينية، فالعدل هو المطلوب لأنه الحق، يقول تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[1] أي بالعدل.

٣ـ أخلاقيات الانتصار، فإذا كنا بحاجة إلى الأخلاقيات في مرحلة التغيير والثورة، فإنها أكثر حاجة في حالة الانتصار والدولة، فهذه الأخيرة تتطلب قوة فائقة وعظيمة من الأخلاقيات المترسخة في النفوس، فإن افتتان الإنسان بالمراكز والمناصب والشهرة هو أشد من غيرها، وكذلك

---

(١) ص: ٢٦.

إن حالة الرخاء والنشوة والرفاهية قد تكون أكثر ابتلاء من زمن وحالة الشدة والظروف الصعبة حتى جاء في الحديث القدسي: «**اذكروني في الرخاء أذكركم في الشدة**»، ويعني ذلك أن في الحالة الأولى يصاب الإنسان بالغفلة والانشغال والافتتان بالدنيا، فينسى ما كان يدعو إليه من قبل من الدعوة على الظالمين وأصحاب المناصب والثروة لأنهم يتسببون في ظلم الناس وحرمانهم، فكيف يكون الحال إذا تغيرت الأحوال؟ فهل نعتبر ونحاول أن نتغير، كما قال الحديث «**كفى بنفسك أدبا ما تكرهه من غيرك**»[1]. أم نصبح نسخة مكرره عن غيرنا وتتشابه قلوبنا وأن اختلفت الشعارات والشخصيات.

خلاصة: إن أخلاقيات الثورة والتغيير والإصلاح عنصر مهم في نجاحها، واستمرارها وقدرتها على إحداث التغييرات المأمولة، وإذا كانت الثورة بحاجة إلى هذه الأخلاقيات فإنها تكون أحوج إليها عند الانتصار وتحقيق الأهداف والمطالب، ففي هذه المرحلة يمكن الحكم عليها وعلى مكتسباتها ونزاهة أهدافها، كما أن الناس يراهنون على ذلك، أي تحقيق ما ضحوا من أجله، ولا يهم بعد ذلك من هو الذي يحكمهم أو يمثلهم. مما يتطلب من القادة والمصلحين والدعاة أن يكونوا على مستوى المسؤولية والطموح وكذلك في مستوى

(١) بحارالأنوار: ج٧٣ ص٦٧ باب ٤٥ـ مراتب النفس وعدم الاعتماد.

تطلعات الناس وهمومهم وتطلعاتهم، ففي الحديث «**ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم أشد على دين المرء من حب الرئاسة**»[1].

وآخر «**الإنسان حيث وضع نفسه**»[2] بأن نكون أهلا للمسؤولية ومستوى الطموحات، وليس مجرد شعار.

الدرس القرآني في حالة الانتصار:

وفي القرآن الكريم تجلي لهذه الحقيقة حيث يقول ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[3] فالتسبيح والاستغفار عنوانان معبران ومناسبان لمثل هذه الظروف، أي ظروف الانتصارات والنجاحات، ففي هذه الحالة تنتاب الإنسان أو الشعوب حالة من الزهو والنشوة فيسرح في ميادين اللهو واللعب أو يصاب بالغرور والكبرياء بانتهاء المسؤولية الكاملة عن عاتقه وعدم التقصير فتتوارى عنه الأخطاء وتحجب عنه النواقص والعيوب، وهذا هو مدخل

---

(١) الكافي ج٢٩٧ ب ٢ باب طلب الرئاسة ...... ص : ١٢٩٧ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فَقَالَ إِنَّهُ يُحِبُّ الرِّئَاسَةَ فَقَالَ مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ فِي غَنَمٍ قَدْ تَفَرَّقَ رِعَاؤُهَا بِأَضَرَّ فِي دِينِ الْمُسْلِمِ مِنَ الرِّئَاسَةِ.

(٢) غررالحكم ٢٣٨ رياضة النفس ..... ص : ٢٣٨ ح٤٧٩٣ والحديث هو : المرء حيث وضع نفسه برياضته وطاعته فإن نزهها تنزهت وإن دنسها تدنست [دنست].

(٣) النصر : ١ ـ ٣.

وباب للشيطان ومكائده، فكان لا بد من التذكير بالعودة إلى الله سبحانه ومحاسبة النفس، فهو الموفق والمسدد والمعين على الاستمرار والاستقامة والهداية والفلاح، واقتداءً وأسوة بالأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

التنافس الخلاق:

إن الثورة الخلاقة هي التي تقدم لنا تلك النماذج الخيرة والصالحة التي تتنافس على القيام بالأدوار والمهمات وحمل المسؤوليات «**فتجد الشعب كالخلية الواحدة يتنافس بعضهم مع بعض على توزيع الأدوار والمبادرات إلى الأعمال**» وهذا ما شاهدناه بالفعل عبر وسائل الإعلام وما يتحدث به شهود عيان وفي «**ساحة الميدان**» فكل واحد يشير إلى الآخر، وهذه هي الأخلاق الحضارية.

إن التنافس الايجابي والخلاق ضرورة في إحداث التأثير في النفوس والتحولات على صعيد العلاقات الاجتماعية والإنسانية، ففي ظل أجواء التنافس تبرز قيم الخير والإحسان والمحبة، كما تبرز أيضا تلك القوى والطاقات والقدرات الكامنة في حياة الناس وكياناتهم، من هنا يجب التأكيد على

---

(١) هود : ٨٨.

هذا التنافس البناء من خلال دعمه بعرى الإيمان بالله سبحانه، وتأثيره وانعكاسه على طبيعة العلاقة الإنسانية والتقدم. يقول تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، ويقول الرسول ﷺ: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**».

وللأسف بسبب غياب النظام العادل ومنظومة الثقافة الإسلامية لا تجد مثل هذه السلوكيات والحوافز في سلوكياتنا وحياتنا الاجتماعية، فحلت بدلها الروح الأنانية والتفرد والطمع ليعيش المجتمع تلك الفواصل والحواجز نتيجة الطبقية والكراهية ودواعي النفور.

إذاً الثورة والإصلاح في واقع الأمر والحقيقة هي صياغة لروح الإنسان وبناء لعلاقات المجتمع على أسس صحيحة وسليمة، ولذلك قيل بأن «**الأخلاق روح في بدن المجتمع والأمة، فهي ديمومة الاستمرار، وحين تضعف هذه الروح أو تموت فلا قيمة لحياة الناس**» لأنها حياة أشبه بحياة الغاب.

---

(١) آل عمران: ٩٢.



أخلاقيات الإعلام الرسالي والثورة

حيث تتأكد مصداقية الكلمة، فالإعلام هو الرسالة التي تعبر عن الأهداف والمطالب كما أنها تعكس الأحداث والوقائع على الأرض، وهو كذلك الموجه والمؤثر في حركة الناس وآرائهم وقناعاتهم. فلا سبيل لأي فكرة أو دعوة أو ثورة تريد أن تكون مؤثرة وناجحة أن لم يكن لها رسالة إعلامية.

وفي عصرنا «**فإن الإعلام يبرز كأهم العوامل المؤثرة في تكوين الرأي العام لأنه أصبح أكثر واقعية وتطورا وفاعلية بسبب التطور الهائل في وسائل الاتصال**». ولا بد من الإشارة بأن الإعلام اليوم لا يقتصر على تبليغ الرسالة، بل أصبح أكثر حرفية وعلم وفن وشمولية، فهو يمثل الكلمة والصورة المباشرة وغير المباشرة، من هنا يتأكد في الإعلام الدعوة الرسالية

والإسلامية على المصداقية، أي الالتزام بالإعلام الهادف، أي بالأخلاقيات بأن:

١ـ يكون صادقا ومعبرا وكاشفا عن الحق والحقيقة، وأن يكون نزيها وخالصا من الشوائب والمصالح الذاتية فلا ينطلق من الأهواء والعصبيات والأنانيات والمنطلقات المنحرفة ،

٢ـ أن يكون في مستوى هموم وتطلعات الناس، فهو يحاكي الواقع ويتحدث عن الظروف وكذلك يبحث عن الحلول للمشاكل ويركز على البدائل ولا يكون سلبيا بل يلتزم الموضوعية. وهذا ما يميز الأعلام الرسالي عن غيره لأن الإعلام الفاسد وهو الإعلام الرسمي عادة، هو إعلام سلبي من خلال تركيزه على القضايا الهامشية وكذلك على مفاسد الأخلاق كالاهتمام بالفن الهابط، فهذا الإعلام هو في الواقع آله بيد السياسات الحاكمة ولا ينتمي إلى الواقع وحياة الناس بصلة، ومن أهم أهدافه هو خدمة وتلميع هذه السياسات وتغطية أهدافها وأخبارها وإخفاء عيوبها وسلبياتها. ولذلك نقول: «بأن الإعلاميين في جهاز الدولة والنظام هم عملاء في الغالب ومأجورين ويفتقدون إلى المصداقية والمهنية، ولقد حذرنا القرآن منهم ومن خطورة رسالتهم وأدوارهم ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[1] أما الإعـلام الرسالي هو المستثنى لأنه إعلام نابع من الحرص على إيصال رسالة الحق وهداية الناس وإصلاح حياتهم وتقويم مسيرتهم، فهو ينطلق من خلال:

أولاً ـ من الشعور بالمسؤولية أمـام الله قبل كل شيء، وكذلك أمام الناس.

ثانياً ـ لوعيهم بأهمية دور الإعلام وتأثيره في مسيرة الحياة وتحقيق الأهداف.

من هنا فان الإعلام الرسالي يتمحور حول الكلمة (الطيبة) حسب وصف القرآن، أي على النفع والذي يتصل بالحقيقة والواقع، وكذلك يكون تأثيرها عميق ومستمر ودائـم، لأنها ضاربة في أعماق الجذور، عكس الكلمة الفاسدة والفارغة التي يرتكز عليها النظام الفاسد، فمهما كـان لها من تأثير أو استمرار إلا أنها تتلاشى عندما تنكشف الحقائق، يقول تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[2].

---

(١) الشعراء: ٢٤٤ ـ ٢٢٧.

(٢) إبراهيم: ٢٤.

ومـن الأهمية هنا أن نشير إلـى تلك الخصائص التي تميز الإعـلام الرسالي ويرتكز عليها من خـلال استقصائها واستخلاصها من القرآن والمفاهيم الإسلامية:

١ـ التزامه بالموضوعية والصدق.

٢ـ احترامه للرأي والخصوصية.

٣ـ يتجنب الصدامات والفتن.

٤ـ الاعتراف بالخطأ لأنه فضيلة.

٥ـ زرع الأمل والسعادة في حياة الناس بدل التشاؤم.

٦ـ إضاءة الحياة بالرؤى والتخطيط للمستقبل.

٧ـ تقديم النماذج الخيرة والقدوات الصالحة.

٨ـ اهتمامه بالحوار.

٩ـ الاهتمام بالتنمية البشرية والطبيعية.

١٠ـ زرع قيم الإيمان والفضيلة والأخلاق.

ومن هنا نقول: إن الإعلام اليوم والعصر ليس كالأمس فهو من أهم الوسائل في التعبير عن القضايا المصيرية خصوصا التي تتصل بحياة الشعوب حقوقها وتطلعاتها، ومـن أجل ذلك نجد الحكومات تولي ذلك الاهتمام الكبير على السيطرة والهيمنة على وسائل الإعـلام المختلفة ليس فقط في داخل أراضيها وأوطانها بل أيضا تحاول أن تسيطر على الإعـلام الخارجي بكل الوسائل والأثمان في سبيل مصالحها، حيث

نجد الأنظمة السياسية المستبدة تشتري الأقلام والصحف والمجلات والقنوات لتكون سندا ودعما لمسيرتها وسياساتها، وكذلك من اجل محاربة أعدائها وخصومها ومعارضيها في الداخل والخارج، وتشويه صورتهم، أو التقليل من دورهم، فلا غرابة أن تدفع هذه الحكومات الأموال الطائلة في سبيل تحقيق هذا الهدف وتجيره لصالحها، فهو أي الإعلام أصبح سلاحا مهما في الصراعات والمعادلات الاجتماعية.

إذا يجب الاهتمام بهذا السلاح وعدم التقليل من شأنه، وهذا يتطلب العمل والإعداد الكامل في إيجاد تلك المقومات الرئيسة في هذه الصناعة من خلال إعداد المتخصصين والكفاءات، وأهل الخبرات، فالإعلام كما هو رسالة فهو اليوم فن وعلم وجاذبية ساحرة، ومن لا يتملك هذه المقومات والمؤهلات قد لا يكون قادرا على التأثير، فضلا عن المواجهة في ساحات الصراع، وأهل الحق والشعوب المظلومة هي الأولى والأجدر بستخير الإعلام والاستفادة من وسائله كي ينتصروا لحقوقهم ودينهم وتحقيق أهدافهم، فيجب الاستفادة القصوى من الوسائل المتعددة والمتطورة وتقديم الصورة المثالية الحسنة للناس وللعالم، وهذا ما يؤكد عليه القرآن في الدعوة والسلوك يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]،

---

(1) البقرة: ٨٣.

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[2].
كما حذرنا القرآن من الإعلام المنحرف والفاسد التي تتشدق به الحكومات وتعول عليه في رسم صورة الحياة حسب ميولاتهم وسياساتهم ومصالحهم، وذلك:

١ـ بالتركيز على توعية الناس بكشف خطورة هذا الإعلام وأهدافه ودوره السلبي والتصدي له وفضحه، فهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[3].

٢ـ فالمطلوب الوقاية أي عدم التأثر به، الاستجابة له، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾[4]. وفي الحديث «**من استمع إلى ناطق فقد عبده فان كان الناطق عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان**»[5] وهو إشارة إلى خطورة الإعلام ودوره في الصراع بين الحق والباطل بين الخير والشر، بين الفضيلة والرذيلة.

(١) المؤمنون: ٩٦.
(٢) النحل: ١٢٥.
(٣) لقمان: ٦.
(٤) الإسراء: ٣٦.
(٥) الكافي ٦ ٤٣٤ باب الغناء ..... ص: ٤٣١
٢٤ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَرْمَنِيِّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ وَ إِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ.

٣ـ ولا يفهم من ذلك مقاطعة الإعلام المضاد مهما كان وبصورة شمولية، وإنما يجب علينا أن نمتلك الوعي والتحليل والفهم لهذا الإعلام والقدرة على الاستيعاب، فالإعلام هو لغة تعكس من ورائها الكثير من القضايا والأسرار والميولات، والاهم في صراع السياسات والإرادات، ولذلك قيل: «**من عرف لغة قوم أمن شرهم**» فهي المدخل والمفتاح للفهم. من هنا يؤكد القرآن على الموقف الإيجابي والعلاقة الصحيحة في التعاطي مع الإعلام، يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[1]، أما من لا قدرة له على الفهم ولا يمتلك الوقاية فيجب الحذر والتجنب وعدم الاستماع. وصفة استماع أي افتعال، وهو التأمل والفحص. كما يجب عدم نقل الأخبار والتقارير والمعلومات بدون تمحيص ونقد وتروي لأنها تفتقد إلى المصداقية، فهذه الحكومات لا تتورع عن قول الزور والكذب في توجيه إعلامها. فهي تقلب الحقيقة وتزيف الحقائق.

---

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.



معززات جديدة للنصر
(التواصل الاجتماعي)

كالفيس بوك وغيرها مثل تويتر ويوتيوب والإيميلات، فقد أثبت دورها ومهمتها وقدرتها في تحقيق النصر والثورات، فمن خلالها يتم التواصل بين الناس ومد جسور الروابط ونقل المعلومات والتقريب بين الآراء والاهم توحيد الكلمة والمواقف وكذلك المطالب المشروعة، كما أنها قادرة في خلق التأثير وتعبئة الناس والحشد الجماهيري، ونقل الصور والمشاهد الحية، دون قدرة السلطات الحاكمة من منع مثل ذلك، فهذه الحكومات التي استطاعت في الماضي ولمدة قرون كثيرة في تفتيت قوة ووحدة المجتمع وقطع كل الروابط والاتصالات بين الناس والتعبير عن آرائهم وتوصيل مطالبهم، فأوجدت تلك الهوة الواسعة والعزلة التامة لتحقيق هذه الوحدة، فهذه الحكومات تفرض قوانين صارمة لمنع التجمهر

والمسيرات والمظاهرات حتى ولو كانت سلمية وترفع مطالب مشروعة، لأنها تخشى من هذه الوحدة الاجتماعية وهذه المطالب الشعبية. وأمام هذه الإجراءات التعسفية ووسائل القمع الحكومية، لا بد من الاستفادة القصوى من سائل الاتصال المتطورة، وما حدث في تونس وفي مصر بالخصوص، كشف عن أهمية وتأثير هذه الوسائل، فهي أساس انطلاقة هذه الثورات ونجاحها حتى سميت ثورة مصر بثورة الفيس بوك. والمطلوب هو تكرار هذه التجربة في كل مكان وبين الشعوب المظلومة فهي وسائل تعزيز لتحقيق النصر والهداف المرجوة. والتأكيد على أنها وسائل تعزيز وليست بديلة على تحقيق هذا النصر على الواقع.



مشروع الوحدة العربية والإسلامية

في ظل الثورات والتحولات أثبتت الشعوب العربية والإسلامية بأنها أمة واحدة ذات رسالة خالدة، وأنها تمتلك القدرة والمقومات الحقيقية في استرجاع حقها الحضاري المسلوب ودورها الريادي المفقود وتحقيق تطلعاتها الخيرة والسامية، بالرغم من سنين التخلف والقهر والحرمان بسبب تلك السياسات الظالمة والحكومات المستبدة التي عملت على شيأين أساسيين:

أولا ـ هدم كل المقومات الحياتية والاجتماعية والحضارية في كل البلاد العربية من خلال سلب الحريات وتكليل الطاقات ودفن القدرات، لتجد الأمة نفسها كقطيع لا يملك قرارا ولا يشارك في أمر، بل عليها فقط أن تطيع وتخضع لحكامها، فأصبح مصير الأمة وهذه الشعوب هو بيد قادتها السياسيين، ليكونوا الممثلين عن شعوبهم، ومن يعارض أو

يتصدى لهذه السياسات والمواقف والقرارات أو ينتقد فانه يحاسب ويعتبر خارجا عن القانون والشرعية. ولذلك نجد هذه الحكومات أو أغلبها قد منعت كل أساليب المعارضة وأشكالها، فلا تجد في البلاد العربية تلك المنظمات والأحزاب والتيارات والنقابات كالتي تجدها في تلك الدول الغربية والحرة، وإذا كان هناك حزب يمارس دوره بحرية فهو الحزب الحاكم كما في مصر أو تونس أو اليمن وغيرها قبل السقوط، فهي أي هذه الأشكال من المعارضات شبه مخفية بالكامل، حتى أن ذكرها في بعض الأوطان والبلاد العربية شبه غريبة ومحرمة بسبب تشويه صورتها ومسحها من الوجود.

ثانيا ـ كرست التبعية إلى الغرب والاستعمار، بدءا من التبعية السياسية والاقتصادية، إلى بقية الجوانب والأبعاد، وهذه التبعية كرست الفوارق والمسافات بيننا وبين الغرب وتلك الحضارات المادية، فهي أصبحت متقدمة بينما أصبحت الأمة الإسلامية متخلفة، بحيث هذان الخطان لا يلتقيان أبدا، بل نجد مؤشر التقدم عندهم ومؤشر التخلف عندنا يزداد يوما بعد يوم وتتسع الهوة وتتعمق الفوارق، بينما نجد هذه الحكومات تقف موقف اللامبالاة ولا تكترث بشيء، بينما ينصب اهتمامها وشغلها في الاستمرار في الحكم والمناصب وجمع أكبر قدر من الأموال والثروة لهم

ولعوائلهم، فهم يحتكرون كل مصادر الثروة، بينما لا يصل إلى الشعوب سوى القليل والفتات، وكذلك نجدها فقط تهتم بالشكليات ومظاهر التمدن وتقليد الغرب في هذه المظاهر مثل إنشاء الأبنية الشاهقة والتنافس على استيراد ما هو مفقود عندنا، وبذلك فقدت هذه الشعوب والأمة الاستقلال، وروح البناء والقدرة على التنمية، فهي امة تحتاج إلى الغرب في كل شيء، لتصبح أمة متخلفة ومتأخرة عن ركب التقدم والحضارة، وقد صنفت بالعالم الثالث لأنه لا يوجد عالم آخر، فهي أمة أسيرة لغيرها مصداق للحكمة التي تقول: «**احتج لمن شئت تكن أسيره**»[1]، بالرغم من امتلاك هذه الدول العربية اكبر قدر من الثروات والمصادر الطبيعية من غيرها وفي مقدمتها البترول.

وبسبب كل ذلك، أصبحت الأمة تعيش على هامش الحياة والحضارة، وخارجة عن سياق المعادلة في التنافس والسباق على قيادة العالم، وبتعبير آخر خارجة عن الزمن في تعداد التقدم والتطور، لأنها لا تملك زمام نفسها، فضلا عن دورها في قيادة العالم، وهي الأمة التي أسست للحضارة الإنسانية،

(١) بحارالأنوار ٧١ ٤١١ باب ٣٠ـ فضل الإحسان والفضل والمعر
عن أمير المؤمنين عليه السلام قال امنن على من شئت تكن أميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره واستغن عمن شئت تكن نظيره.

وقدمت البشرية، وحققت كل عوامل البناء والاستمرار، ولولا ها لم ير العالم الضوء والتنفس في رحب هذا الكون والفضاء.

الحرية ومنطلقات الإصلاح والثورة:

فهذه الثورات المتعاقبة على الحكومات الظالمة والمستبدة والرجعية ما هي إلا نتيجة طبيعية، وردة فعل قوية، بسبب تلك الظروف والعوامل، فهي كالبركان يتفجر كلما اشتد به الضغط حتى يصل إلى ذروته ونهايته، فكل شيء له حدود، لكن هذه الحكومات لم تعرف حدا حتى لنهايتها، وتجاهلت كل التوقعات والتحليلات، لتتفاجأ بهذا السيل الجارف.

إن الشعور بفقدان الكرامة وغياب الهوية هو الذي قاد هذه الثورات الشعبية والجماهيرية ليس فقط نحو المطالبة بحقوقها وإنما أيضا بإسقاط كل الأنظمة واستئصالها والمطالبة بتغييرها بالكامل وإزالة كل متعلقاتها لأنها غير صالحة ونافعة فوجودها كاملا أو جزئيا أو وجود عناصرها ومن يمثلها يشكل عقبة وخطرا وتهديدا للثورة ومسيرة الإصلاح، ولذا كان الشعار هو رحيل هذه الحكومات (ارحلوا)، ومسحها من الذاكرة إلى الأبد وبدون رجعة، فالحرية والتحرر من هذه الحكومات الظالمة والمستبدة هي الخطوة الأساسية

والصحيحة على طريق الإصلاح وتحقيق انجازات الثورة، وكل المطالب المشروعة.

ولذلك في ظل هذه الحرية يمكن تحديد المنطلقات الصحيحة بما يتناسب ويكفل وحدة الأمة وإبراز هويتها وتحقيق آمالها وتطلعاتها، فوحدة الأمة من أهم وأقدس الأهداف والمبادئ الإنسانية والإسلامية والحضارية.

الوحدة العربية في ظل الإسلام:

فلا يمكن تحقيق هذه الوحدة العربية إلا في ظل قيم الإسلام وتعاليمه، كما لا يمكن تحقيق مفهوم الحضارة إلا في ظل حياة الأمة الواحدة، فتعاليم الإسلام هي التي تقدم الحلول لكل المشاكل وكذلك ترسم لنا الأهداف والتطلعات الخيرة، ولذلك فالإسلام مشروع حضاري يختزل كل المفاهيم والقيم والتعاليم البناءة التي لا تتعارض ولا تصدم مع كل المفاهيم والنظريات أو الهويات المختلفة والمتنوعة ما دامت في إطار الحق والمصلحة وتهدف إلى ترسيخ مبادئ الخير والعدالة، فالإسلام لا يخشى من هذا التنوع أو الافتراق أو الاختلاف، بل قد يجده ضرورة في الطبيعة البشرية، إنما الذي يخشاه هو حينما تتحول هذه المفاهيم المختلفة إلى فوارق عنصرية وطبقية زائفة تهدد كيان الإنسان وكذلك تهدم قيم الأمة

وتعرقل حركة تكاملها. ولو لاحظنا القرآن الكريم كيف يؤكد على هذه البعدين، في حياة البشرية لعرفنا طبيعة موقف الإسلام من كل التصورات والاختلافات، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، فالعلاقات البشرية الصحيحة والإيجابية إنما تنشأ من خلال احترام كيان الإنسان دون فوارق، ثم احترام قيمة الأهداف والمبادئ التي جاء من أجلها، ومن أهمها هي بناء الأمة الواحدة على أسس قويمة وهي التقوى، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[2].

فالإسلام يحارب كل ألوان العنصريات أو القوميات التي تنطلق من منطلقات شريرة ومنحرفة، ولذلك يجب الحذر من تلك الأفكار والمواقف الهدامة والمعادية للإسلام تحت غطاء وستار القومية، لأن الإسلام ليس فقط لا يتعارض مع مفهوم القومية أو مفهوم الوطنية وإنما يحترم كل الشعارات والتوجهات وحتى الأديان ما لم تكن عدوانية وتقلل من شأن الإنسانية وتحتقر كرامتها، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ

---

(١) الحجرات: ١٣.
(٢) المؤمنون: ٥٢.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]. فالإسلام دين السلام والعدالة والأمن قبل كل شيء يقول تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[3] إذاً فهو الذي يمتلك القدرة على صهر كل الفوارق العنصرية والطبقية والعرقية وإزالة كل الحواجز بين أبناء البشر، فهو ينظر إلى البشرية كأسرة واحدة، مهما تباعدت وتفرقت واختلفت، كما يسعى لسيادة قيم الخير والسعادة والبناء فيم بينها، يقول الرسول ﷺ «**لا فرق بين عربي ولا عجمي ولا بين أبيض أو أسود إلا بالتقوى**»، ويقول الإمام علي بن الحسين (زين العابدين): «**وليس من العصبية أن يحب المرء قومه، ولكن من العصبية أن يُعين قومه على الظلم**»[4].

ويقول الشاعر:

الناس من جهة التمثال أكفاء
أبوهم آدم والأم حواء

(١) الممتحنة: ٨.
(٢) البقرة: ٢٠٨.
(٣) النساء: ٩٤.
(٤) الكافي، ج٢، ص٣٠٨.

تعدد أوطان ووحدة أمة:

وفي ظل الظروف التي عاشتها الأمة، حيث انقسمت على نفسها إلى أوطان وبلدان، فهذا لا يعني أنها تختلف وتتعارض وتتصادم مع هويتها ووحدتها، لأن مفهوم الأمة لا يعني بالضرورة هو التقارب ما بين هذه الدول والبلدان وإنما من خلال الالتزام بالعقيدة الإسلامية والمبادئ الحقة والأخلاقيات السامية، ومن خلال ذلك يمكن تحقيق مفهوم الأمة وإبراز هويتها في كل بقاع العالم. وتمثيلها أحسن تمثيل، وليس وحدة الأمة بالشعارات والكلام أو التقارب بالأبدان والتجاور بالبلدان. كلا، فهذا مفهوم خاطئ، ولا يراد منه الا اثارة الفتن ووضع الحواجز وشحن النفوس بالكراهية والتباغض وإنشاء الحروب والعدوان، وهو من الأسباب التي أدت إلى تفتيت وحدة الأمة، فالشعارات التي كانت ترفع باسم القومية العربية قبل عقود كانت تصطدم مع مفاهيم الإسلام من جهة وكذلك لم تحقق المصالح المشتركة مع أوطانها، لأنها لم تقم على أساس سليم ورؤية واضحة واستراتيجة صالحة. وكان الفشل هو حليفها، ولذلك نجد مثل هذه المفاهيم والسياسات المتخبطة سواء على صعيد الأوطان أو القوميات هي التي أوجدت الحساسيات والعصبيات وتسببت في قيام الحروب وبث الفتن بين الشعوب العربية نفسها وكذلك مع القوميات

الأخــرى، مثل الـحـرب ضـد إيــران، تـحـت شـعـار الـحـرب ضد الفرس.

صراع الحضارات:

إن مفهوم صـراع الحضارات لا يمكن أن يفهم بشكل صحيح إلَّا مـن خـلال الـمبادئ والقيم الـعـادلـة مثل الحرية والـعـدالـة والـمـسـاواة واحـتـرام حقوق الإنـسـان وبـنـاء الأوطـان وتحقيق التنمية والازدهـار، وكذلك إزالة عوامل الشرور مثل الحروب والاستعمار والفساد والظلم الذي يعكر صفو الحياة والسعادة وتقدم البشرية.

والإسـلام هو المشروع المؤهل لتحقيق مثل ذلـك، أما الحضارات المادية خصوصا في العصر الحديث لم تنجح بل فشلت فشلا ذريعا، لأن حضارة بلا روح وقيم وأخلاق، فهي حضارة بائسة بالرغم من التقدم والانجاز الـذي حققته على صعيد العلوم والتطور في ميادين الحياة، مثل الطب والصناعات والتكنولوجيا، والسبب أن كـل ذلـك لـم يكن كافيا في تأمين السعادة والأمن وحتى الرفاهية فما زالت هذه الحضارة والـدول الغربية تعاني مـن الـفـراغ والبطال وحتى الفقر، ومن جهة أخرى فهي تعاني من تفشي تلك الظواهر الخطيرة من معدلات الجريمة والأمراض والتفكك الاجتماعي

والاعتصاب، وحالات القلق والانتحار، وهو ما يشير إلى تفاقم الأزمات وسقوط هذه الحضارات كما اعترف بذلك الكثير من مفكري ومحللي مسيرة هذه الحضارة والمجتمعات من المنتسبين لها.

ولذلك نقول: إن الإسلام هو المشروع المثالي والقيادي والريادي في هذا الصراع، وأن الأمة الإسلامية هي الأمة المرشحة في القيام بهذا الدور، وذلك حينما تلتزم برسالتها الحضارية، في العقيدة والتشريع والسلوك، لأنها الرسالة الخالدة والخاتمة والشاملة للحياة ولكل العصور والأجيال. فهي أساس النجاح والفلاح والسعادة الأبدية، لأنها جاءت لهذا الإنسان ومن اجله وتحقيق انشودة الكمال، وتحقيق ذلك إنما يتم بالالتزام، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾[1]، ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[2].

---

(١) الأعراف: ١٥٦.
(٢) الأعراف: ٩٦.

وحدة الأمة بين الشعار والحقيقة:

لقد أثبتت الشعوب بدون حكوماتها الفاسدة بأنها تمتلك من وسائل التقارب والوحدة والاتصال والتعاون والمحبة بما يؤهلها إلى تحقيق شعار الأمة الواحدة، على ارض الواقع وهذا هو الهدف، فلقد عمدت الحكومات المستبدة على أضعاف هذه القوة كي يتسنى لها الهيمنة والاستئثار، فسعت لإيجاد بؤر الاختلافات والانشقاقات والتفرقة، وسخرت الأموال الطائلة والإعلام وتم استغلال الدين كذلك، فنشأت الحروب والصراعات، فحتى الرياضة لم تسلم من ذلك (كما حصل بين مصر والجزائر)، ولذلك أصبح الوطن العربي جسما بلا روح وأوطان دون روابط، وهواجس دون آمال وتطلعات.

فطالما حملت هذه الحكومات هذا الشعار لكن دون حقيقة تذكر، كما أن الواقع والسياسات تشهد بأنها ضد هذه التوجه وتحقيق هذا الهدف والتقارب، ولذلك نجد مسلسل الاختلافات والعداوات والحروب نشأت فيما بينها حتى بين دول الجوار، وأن الشعوب هي ضحية ذلك.

واليوم فمجرد أن سقط بعضها، سقطت معها تلك الحواجز الوهمية والفواصل، لنجد الشعوب تتفاعل معها

بعضها وتحمل هموم بعضها، لتعيش قلبا واحدا، فليست المشكلة تلك الاختلافات المذهبية أو الاقتصادية، فهذه مشاكل مفتعلة يتم استغلالها والاستفادة منها عند المصلحة.

ولذلك لا بد من تحويل هذا المشروع الحضاري وهو وحدة الأمة إلى حقيقة وليست شعارا يرفع، كما عملت على ذلك الحكومات، تحت شعارات ومسميات مثل منظمة العالم الإسلامي أو الوحدة العربية أو مجلس التعاون الخليجي، فما ذا قدمت هذه من خطوات وعززت من وسائل في تحقيق هذا الهدف؟

إن الشعوب اليوم هي أحوج إلى هذه الوحدة وترميز هوية الأمة، بكل الوسائل المعبرة، وإزالة كل الرواسب والحواجز المصطنعة، وذلك من خلال ترسيخ تلك المفاهيم والقيم والمبادئ العادلة والأخلاق الإسلامية، وهنا نشير إلى أهم تلك الأبعاد والمضامين في تعزيز هذه الوحدة وخلق الأجواء المناسبة:

١ـ احترام الإنسان وكرامته،

٢ـ بناء جسور العلاقات والروابط الإنسانية والاجتماعية بين الشعب الواحد والشعوب الأخرى، بالاستفادة من الوسائل العصرية أو بما يسمى اليوم (التواصل الاجتماعي) مثل الفيس بوك.

٣ـ التأكيد على حسن الجوار واحترام خصوصيات الأوطان.

٤ـ الاهتمام بالمشاريع والمصالح المشتركة.

٥ـ التعاون في كل الأبعاد والمجالات.

٦ـ الاهتمام بوسائل الأعلام كرسالة لترسيخ مبادئ هذه الوحدة

٧ـ الاهتمام بقضية الحوار في كل الشؤون المختلفة، وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

١ـ التعارف والمعرفة

٢ـ الاستفادة من الخبرات

٣ـ وهو ضرورة في قضايا الاختلافات المختلفة الدينية أو الاجتماعية

٤ـ وكذلك في مواجهة التحديات والتغلب على المشاكل

٥ـ في الدعوة إلى الدين والهداية والصلاح

٨ـ التأكيد على الأخلاق ومبدأ الأخوة الإسلامية والفضيلة.

خلاصة: إن التأكيد على هذه الوحدة وتعزيز هذه الهوية العربية والإسلامية في ظل التحولات والثورات هدف حضاري، في مواجهة المخاطر والتحديات الحضارية العصرية

المختلفة، كما أنها ضرورة في ترسيخ مبادئ السلام والقيم العادلة كي تحقق هذه الشعوب التقدم والبناء والتنمية، ولكي تتجاوز تلك الحقب الماضية من المشاكل والأزمات السياسية، وهذا يتطلب التسلح بالوعي الكافي عند كل الشعوب والمجتمعات عبر بلورة المفاهيم الصحيحة ورسم الثقافات السليمة التي تسهل في تحقيق هذه المهمات وتقرب من صور التقارب والاجتماع، وتعاليم الإسلام ثابتة وراسخة في تحقيق هذا الهدف الكبير والحضاري يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[1]، ويقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2]، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[3].

---

(١) الأنبياء: ٩٢.
(٢) المائدة: ٢.
(٣) آل عمران: ١٠٣.



أزمة المناهج التعليمية والتربوية

فالكثير من هذه المناهج قد صبغت بنفس وروح النظام الفاسد والاستبداد، فهي تستهدف الطاعة العمياء وتكريس ثقافة الحب للنظام والوطن بالمفهوم السلبي، دون وعي وإدراك إلى خلفيات هذه المفاهيم، كما نجد ومن المؤسف أن صورة الرئيس هو البطل المهيمن والأسطورة التي يجب أن لا تغيب عن صفحات الكتب والمناهج المختلفة، كما يتم التأكيد على الحديث حول شخصيته وسيرته وتاريخه دون الإشارة إلى أي نقص وعيب وثغرات، ولذلك فهي تسوغ لشخصيته ونظامه كرمز تاريخي ووطني وقومي، يتعالى على النواقص والنقد، وأن الإساءة إليه هو إساءة للكل، وللذات الكاملة والمعصومة من الخطأ. والخلاصة أن هذه المناهج تفتقد كليا إلى مقومات البناء للإنسان والأوطان، وذلك لغياب القيم الحضارية

والمفاهيم الصحيحة. وان التخلص منها ومن رواسبها وآثارها شرط أساسي للعودة الحقيقية في عملية التغيير والإصلاح.

من هنا يجب أن يحظى التعليم بأهمية خاصة وقصوى، فهو أساس الرقي والتكامل، وكذلك يجب أن توضع الخطط الاستراتيجية التي تساهم في رفع مستوى التعليم والكفاءات في كل التخصصات والجوانب، والاهم كذلك أن يواكب التعليم والمناهج الحضارة وروح العصر، وهذا لا يمكن إلا من خلال دراسة واعية ومتأنية ويمكن هنا أن توضع مرحلتين: مرحلة عاجلة ومرحلة آجلة ومستقبلية، فالمرحلة العاجلة لسد الفراغ ومراعاة الظروف الاستثنائية، أما المرحلة الآجلة هي التي تتأكد فيها السياسات والأهداف من خطط التعليم والمناهج، وهنا نشير إلى أهم تلك السياسات والأهداف في التعليم:

١ـ التأكيد على قيمة الإنسان ودوره في الحياة.

٢ـ التأكد على الفهم والإدراك وليس الحفظ والتلقين.

٣ـ التأكيد على المفاهيم الصحيحة والتي لها تأثير كبير في حياة الناس مثل الوطن والأمن والاستقرار والتي ينادي بها كل الحكام والطغاة ويرفعونها كشعار في مواجهة المصلحين

٤ـ التأكيد على التنمية الحقيقية وليس على الشكليات وسياسة الاستهلاك.

٥ـ التأكيد على بناء الوحدة الوطنية.

٦ـ التأكيد على الحوار والتواصل والعلاقات الإنسانية والإيمانية.

٧ـ الاهتمام بالقيم الروحية والأخلاقية وسيادتها في الحياة.

وهنا كذلك نؤكد على أهم المحاور في هذه السياسات:

١ـ سياسات علمية: تهتم ببناء الكفاءات والكوادر في كل المجالات.

٢ـ سياسات حياتية: تهتم بدور المجتمع في بناء التنمية.

٣ـ سياسات تربوية: تهتم بصياغة الإنسان ثقافيا وفكريا ونفسيا واجتماعيا.

٤ـ سياسات هيكلية: تهتم ببناء المؤسسات والمشاريع وطرق إدارتها.

٥ـ سياسات سياسية: تهتم تلك العلاقات والروابط مع العالم بشكل صحيح ولضمان المصالح الحيوية.

٦ـ سياسات تعليمية: أي الاهتمام بالأساليب والوسائل والطرق الحديثة والتي تساهم في إيجاد الرغبة والانسجام والتفاعل والفاعلية مع مختلف العلوم.

خلاصة: إن المناهج التعليمية التي سادت في كل الأوطان العربية وعلى مدى قرون كانت فاشلة وعقيمة والسبب لأنها

تفتقد إلى الأهداف والسياسات الحضارية من العلم والتعليم في بناء الإنسان والأوطان، ولم تراع فليها الوسائل والأساليب المتحضرة، لأنها في الأساس مهمشة وليس لها صلة بالواقع والطموحات.

ترشيد السياسات والمناهج:

لكي تحقق السياسات التعليمية أهدافها في كل المجالات، لا بد من وضع الخطط التي تؤكد على الاستفادة الحقيقية النافعة من كل العلوم أي على الجوانب التي تتصل بحياة الناس وتساهم في سعادتهم والنهوض بهم وذلك لا يكون إلا بالتخلص بمن الحشو والزوائد والهامشيات، فالعم هو في الحقيقة رسالة للحياة والسعادة والتكامل والتقدم، أما العلم الذي لا يصيب في هذا الهدف فهو عبأ وضرر يجب تجنبه، فيجب الاقتصار والاختصار على قاعدة المهم والأهم والأولويات.

الإسلام ومحو الأمية:

ورسالة الإسلام كانت وما زالت ثورة على الأمية والجهل، وليست الأمية في مفهوم الإسلام عدم القدرة على القراءة والكتابة، فهذه هو المفهوم الشائع والمصطلح العام عند الناس، لكن في نظر الإسلام هو أعمق واشمل، بل يتأكد

مفهوم الأمية في الإنسان والمجتمعات التي لا تهتدي إلى الحق ولا تصيب الواقع ولا ترتقي إلى المعالي والسمو وتأخذ بأسباب التقدم والبناء، وقد أشار القرآن إلى حقيقة تلك المجتمعات قبل الإسلام بأنها جاهلية، وكان يقصد بذلك الانحطاط العلمي والأخلاقي، وليس المقصود عدم القراءة والكتابة، لأن العرب كانوا بارعين في هذا المجال ويتنافسون على براعتهم، كما اشتهر بذلك سوق عكاظ. يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ويقول تعالى في صفات أهل الكتاب وهم اليهود: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2].

وعلى أساس ذلك نجد الإسلام ثورة شاملة على التخلف من خلال:

١ـ الحث على التعلم والعلم والاطلاع والتسلح بالمعرفة.

٢ـ الاهتداء إلى قيم الحق والفضيلة والحضارة «**فليست الجاهلية دائما في مقابل العلم، بل هي دائما في مقابل الانحطاط**

(١) الجمعة: ٢.

(٢) الجمعة: ٥.

والانحراف والضلال». ولذلك يمكن للجاهلية تتكرر بتكرار أسبابها، ولهذا سميت بالجاهلية الأولى.

وعلى أساس ذلك يؤكد الإسلام على نورانية العلم وليس مجرد العلم، فالعلم الذي لا ينفع ولا يقدم لنا الحقائق فهو زخرف من القول. من هنا لا بد من وجود ركائز في هذه المناهج:

١ـ التأكيد على الأصالة: أي على أساس مبدأ خلق الإنسان وهدفه في الحياة، وقيم الفطرة السوية. يقول تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[١]، وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣].

٢ـ فهم القرآن الكريم: فهو الرسالة الخالدة والمعجزة الربانية، فهي أساس الهداية للبشرية يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٤].

---

(١) العلق: ١.
(٢) فصلت: ٥٣.
(٣) البقرة: ٢١.
(٤) الإسراء: ٩.

فالقرآن هو منبع العقيدة الصافية والثقافة السليمة والأخلاق الفاضلة والمبادئ القيمة والحضارية. وللأسف نجد أن القرآن مادة مهمشة وغير مرغوب فيها، في ظل الأنظمة الفاسدة، ولا تحظى بالاهتمام. ولذلك نجد القوانين والدساتير الوضعية مستوردة من الشرق والغرب، بينما آيات القرآن الكريم هي مجرد شعارات توضع على الجدران ويبدأ به ويختم في قاعات الاحتفالات والمهرجانات، دون أن يكون له تأثير في أبعاد الحياة. إذاً لماذا أمرنا الله بالتدبر في والاهتداء إلى حقائقه ولماذا انزل من السماء؟ يقول تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ**﴾[1]، ويقول: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾[2]. كما أن الاهتداء إلى السنة المطهرة لا يكون إلا من خلال فهم القرآن الكريم، فهو الثقل الأكبر.

ولقد وصى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذه السنة المطهرة من خلال الالتزام بأهل بيته لأنها هي التي توافق القرآن، حيث قال: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ**

(١) البقرة: ١٨٥.
(٢) ص: ٢٩.

وَ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي»[1] فتقديم القرآن يدل على مرجعيته، كما أن الالتزام بهما يدل على مرجعية السنة المطهرة.

٣ـ الانفتاح على العلوم والانجازات البشرية من أجل عمارة الأرض وتسخير الكون وتحقيق التقدم.

٤ـ التأكيد على رسالة الأخلاق فهي الرسالة الإنسانية والرحمة الربانية والجامعة العالمية التي تقود البشرية إلى السعادة والاستقرار والأمن، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، ويقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[3].

٥ـ التأكيد على هوية الأمة ووحدتها يقول تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾[4]، ويقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[5].

---

(١) الكافي: ح٤١٤ ب٢ باب أدنى ما يكون به العبد مؤمنا: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي».

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) القلم: ٤.

(٤) الحج: ٦٧.

(٥) الأنبياء: ٩٢.



رياح التغيير والثورة تهب على الخليج

مازالت الحكومات في دول الخليج لم تستيقظ من دوي الانفجار والبركان الذي حدث في تونس ومصر، لشعورهما بأنها بعيدة كل البعد عن هذه الظروف والتحولات ومحصنة من تأثيراتها، إما: لأنهم يعيشون في القصور المشيدة فتحميهم، أو لم يستوعبوا الدرس، لكن كل ذلك لا يغير من الحقيقة شيء، بأن رياح التغيير قد هبت بالفعل، فهذه البحرين وعمان تعيش آثار هذا الإيقاع، فما يحدث فيها يشكل جرس إنذار لبقية الدول الخليجية.

أما الحقيقة الأخرى فان شعوب هذه المنطقة هي الأقرب للاستفادة والتفاعل والاستيعاب على استلهام هذه التجربة، ولا نقول استنساخها لأنها تعيش نفس الظروف والعوامل والشروط الكاملة والأرضية التي تدفع هذه الشعوب لإعلان الثورة وليس

مجرد الإصلاحات الجزئية والجانبية. ولذلك نقول إن أمام هذه الحكومات إما:

* المبادرة السريعة والاستجابة لمطالب الناس وتحقيق الإصلاحات الجذرية وليست الشكلية، أي الإصلاحات التي تؤمن أكبر قدر من المشاركة في صنع القرار وتقرير المصير، والأهم هو إطلاق الحريات الكاملة للتعبير عن إرادتها.

* أو السقوط الكامل ورحيل هذه الحكومات بغير رجعة كما حصل في تونس ومصر وكذلك مصير ليبيا واليمن حسب المؤشرات والمعطيات، وهذه الحكومات التي تهاوت هي أقوى هيمنة وسيطرة، فليس هناك قوة حقيقية فوق إرادة الشعوب، أما الاعتماد والمراهنة على تلك التحالفات السياسية والعسكرية خصوصا مع تلك الدول العظمى فقد ثبت فشلها، فالغرب وقف متحيرا حينما رأى تلك الحكومات تتساقط كأوراق الخريف وحينما رأوا (العذاب تقطعت بهم الأسباب).

وأمام إصرار هذه الحكومات على الاستمرار في سياساتها، ومحاولة القفز على الأحداث والالتفاف والتماطل في تنفيذ الإصلاحات والتلكؤ، نتساءل هل هذه الحكومات لا تؤمن بالتغيير والديمقراطية؟ أم أنها ترى الوقت غير مناسب في تحقيق هذه المطالب؟

الأدلـة والشواهد والوقائع تثبت بـأن هـذه الحكومات لا تؤمن بأساس ومبدأ الحرية والديمقراطية وتـداول السلطة، وان كل ما تعد به من القيام بإصلاحات ما هو إلا شعارات ومماطلات ومجاملات، فهي لم تستجب يوما لكل المطالب والمبادرات التي تنشدها هذه المجتمعات، وكذلك لم تكترث ولم تهتم بالمشاكل والأزمات المتفاقمة والتحديات الراهنة، ونتيجة لذلك فان المشكلة أمـام هذه الحكومات ليست في الزمان والمكان أو الظروف الغير مهيأة والمناسبة، لتحقيق هذه الإصلاحات والديمقراطية وإنما هو عدم الإيمان وضرورة تحقيق ذلك.

لكن نرى من الظلم الفاحش هو اتهام هذه الحكومات لشعوبها بأنها غير مهيأة وجاهزة لاستقبال وممارسة الحرية. فهذه التبريرات والاتهامات تجعل من هذه الحكومات غير معنية بالإصلاحات وما يحدث حولها من أحداث وتحديات الحاضرة والمستقبلية، وهذه مشكلة تفضي بعدم المصالحة وتقديم الحلول الوسطية والجادة مع شعوبها.

أما الشعوب اليوم هي أكثر وعيا وإيمانا بعدم صلاحية وكفاءة وشرعية هـذه الحكومات والأنظمة، وان استمرارها يشكل أزمـة وعقبة في طريق الديمقراطية والتنمية والتقدم. وهـذه القناعة الجماهيرية تـبـرز بشكل واضـح وجلـي من

خلال إصرار هذه المجتمعات نحو تغيير وإسقاط الأنظمة وهذه السياسات بالكامل وإحداث الثورة. فهل تستطيع هذه الحكومات بعد الآن أن تقف في وجه العاصفة؟

الشيخ: حبيب الخباز

٢٧ /٣/١٤٣٢

المحتويات